

العدد ٣ تاريخ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨ السنة الاولى

سلسلة الروايات  
العثمانية

مجله روایات ادبی تاریخی  
تصدر كل عشرة ايام مرة وستة عشر عدداً  
(لندن)

جورجی سعادت  
(روایہ)

مہارے سرور

أوبوليس دمشق السري بمصر

الجزء الثالث

اشتراكها في مصر والسودان ٤٠ غرساً صاعاً في السنة

وفي الخارج خمسة عشر فرنكا

(کل طالب لم ترسل معہ قیمتہ لا یقبل)

( اماره الحجه )

10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1041 1042 1043 1044

عن السيد الواحد ثلاثة غروش صباع.

## ﴿اجود الاصناف﴾

نحن الجمهور اننا نتمننا فكرة استحضار أجود  
المضائق مع جعل الاثمان زهيدة جداً بالنسبة  
لقيمها ومتانتها حتى حررنا على ثقة العموم وزيادة الاقبال  
وقد جعلنا جملة تسهيلات للزمان وخصوصاً قاطني الجهات  
في انحاء القطر المصري ولدينا كافة اصناف الجزم  
الانكليزية والامريكانية للرجال والسيدات والاولاد  
وجميع اصناف القمصان والكرافات والروائع والقمانيات  
والمباديل والعصي وادوات لزوم السفر وجملة اصناف  
اخرى والاثمان محددة احمد كامل وشركاه

بالموسكي بمصر

---

نرجو من حضرات مشتركينا الافاضل تسليم  
الاشتراقات لمن يده وصولات بمضاة مناومنه ومختومة  
من طاهرها بختمننا ويكون لحضراتهم منا مزيد الشكر

# سلسلة الروايات العثمانية<sup>\*</sup>

﴿ مجلة روائية تاريخية غرامية ﴾

( اصاحبها )

﴿ جورجى سعادہ ﴾

« العدد الثالث »

« السنة الاولى »

تكرم حضرة الاديب والشاعر اليب خالد افندي  
وامر مدرس اللغة العربية والتاريخ بمدرسة التوفيق بطنطا

مھذین البیتین تقریظا

تجلت على القراء بکرامصونة

أغار على التاريخ في وضعها القلم

فلا تقنعوا منها بظاهر حسنھا

بلى فانشدوا سر المواعظ والحكم

# رواية

﴿مهارة سرور او بوليس دمشق السري بمصر﴾

الجزء الثالث

(تأليف)

﴿سماده بك مورلي﴾

احد مستخدمي الدولة العثمانية سابقا

(صاحب المجلة)

﴿جورجى سماده﴾

---

مطبعة النجاح بمصر

(حقوق الطبع محفوظة للمجلة)



## ❦ سلسلة الروايات العثمانية ❦

### ❦ السنة الاولى ❦

#### ( الرواية الاولى )

#### ❦ مهارة سرور ❦

أو « بوليس دمشق السري بمصر »

الجزء الاول - يتضمن جناية حدثت بالقاهرة  
في حكم اسماعيل باشا الخديوي وقد أخذت دوراً مهماً  
بين رجال الحكومة المصرية

الجزء الثاني - يتضمن شرح تهمة رضا بك ابن  
فائق باشا الكبير باشتراكه في مؤامرة ضد « ساكن  
الجنان » السلطان عبد العزيز

الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس - مذكرة  
فائق باشا « تاريخ حياته » وما لها من الاهمية السيلسية  
في زمن وحكم « ساكني الجنان » السلاطين محمود وعبد  
المجيد وعبد العزيز من ملوك آل عثمان تظهر فيها اطلماع  
دول اوربا ضد للسلطنة العثمانية واسباب منح الدستور  
الجزء السابع - يتضمن تحقيق الجناية التي حدثت

بالقاهرة تحت رئاسة كاظم باشا المندوب السامي العثماني  
بأمر جلالة السلطان

الجزء الثامن والتاسع - يتضمنان اعمال سرور اضا  
مدير ضبط ولاية سوريا وما ابداه من الماهرة في كشف  
مخبات تلك الجناية

الجزء العاشر - محاكمة احمد افندي عم رضا بك  
بالاستانة

الجزء الحادي عشر - الختام

غوامض هذه المسألة عينوني فأقوم الى القطر المصري  
 حلالا وابحث عن الفاعلين والعاملين لهلاك رضا  
 وأقبض عليهم

- ومن يشهد بأنك كفوء لذلك  
 - أعمالي بدمشق وبعموم ولايه سوري يا تشهد لي  
 - سأرسل في طلبك متى احتجت اليك  
 ثم أمره بالانصراف  
 ولما خرج سرور اعا التفت كاظم باشا الى  
 الاعضاء وقال

ماذا تقولون في اقتراح سرور أغا  
 فصاحوا بلسان واحد  
 لقد نطق صواما  
 فسكت كاظم باشا فليلا وقال  
 واذا كان ما قاله في غير محله - هل نترك النور  
 ونسير في الظلام ومن يؤيد ويثبت لنا قول سرور أغا -  
 فقد ظهر لي ان التهمة ثابتة تماما على المشير  
 - فقال سعيد باشا الكردي

رأي سرور أغا في محله والادله التي قدمها لنا  
 بوجود الفاعلين بالقطر المصري ثابتة تماما وأنا أول من  
 يصادق على ارسال سرور أغا الى القطر المصري لكشف  
 غوامض مسألة رضا

- وإذا كانت التهمة المتهمة بها رضا بك حقيقة  
 ثابتة عليه

- ولكن رضا بك ليس لصا سفاكا حتى يفعل أفعالا  
 لا يأتها الا الاشرار فاصرف هذه الافكار عن بالك  
 واسرع في تعيين سرور اغا فيسعى وراء الفاعلين بهمة  
 تحاكي همة الاسود ويقبض عليهم  
 - يلزم أن آخذ رأي الاعضاء اذا كانت تصادق  
 على ارساله الى القطر المصري

نم التفت الى الاعضاء وقال  
 ما رأيكم في ما قاله سعيد باشا  
 فقالوا بلسان واحد - نعم الرأي رى سعيد باشا  
 وانا نصادق على تعيين سرور اغا وارساله الى القطر  
 المصري

﴿تمة الجزء الثاني﴾

ولا بد ان يمض وجهاء القطر المصري عضد  
الاشرار مقابل مقدار من المال والجنس البشرى ميال  
بطبعه اليه

فقال كاظم باشا

هذه تصورات ليس إلا

ولكن هذه الاشارة تؤيد قولي

فقال أحد الاعضاء

ولكن كيف ياأغا لم يقدر رجال الحكومة المصرية

على اظهار الفاعل والقبض عليه

لانه يظهر ان اللصوص ذو مهارة ودهاء نادرين

ولربما يكون زعيمهم غنيا أو ذو نفوذ

فضاق صدر سعيد باشا الكردي من كثرة السوالات

دون فائده وقال

ما رأيك ياأغا في مسألة رضا

فاجابه سرور اغا وهو يتسم

رأى الاسراع الى القطر المصري وايقاف حكم

ربما صدر عليه قريبا فنتخذ ركننا من آل عثمان ثم نسعى

في القبض على الاشرار

فقال كاظم باشا

ربما كان ما تقوله صوابا ولكن هل تقدر ان

تستنتج من هو رعيم الاشرار كما استنتجت وجودهم

بالقطر المصري

- كلا الا اذا قصدت القطر المصري واطلعت على

الاوراق وبجئت غهم

- هل استنتجت نفع الاشرار بهلاك رضا

- كلا لا يكون ذلك الا اذا قبضت على رئيس العصاة

- هل خطر على بالاك ان رئيس العصاة من اقارب

رضا بك أو من عائلته

- لا اجزم بذلك فالذى له صديق له الف عدو

- اين تظن كان رئيس الاشرار قاطنا

بدمشق او بالاستانة

- كيف عرفت ذلك

- قلت على سبيل الحدس واذا اردتم كشف

ان شابا شريف الحسب والنسب ذو أدب  
 فائق ومركز سامي وثروة عظيمة مثل رضا لا يقدم  
 على عمل دنيء فيسرق ويقتل كما اتهم  
 ولكن أغلب الافعال الدنيئة لا تتأني الا من  
 أولاد الامراء والاشراف الاغنياء فيتباهاون بما يتونه  
 من الشرور والآثام غير حاسبين للحكومة حسابا  
 فيقعون بيد العدالة فلماذا لا يقول ان رضا أحد أولئك  
 الاغنياء لا دنيا.

- صدقت يا سيدي ولكن رضا ليس كاحدائك  
 الاسافل لانه شهما أبي النفس يترفع عن الاعمال الدنيئة  
 وهو ليس في احتياج ليقتل حتى يسرق فهو ريء مما  
 اتهم به

وأصل فساد اولاد الامراء المقامرة لانها تحو  
 مادني الشرف والشهامة وتعلمهم على اللصوصية والقتل  
 والنفاق ولكننا لم نر أو سمعنا ان رضا عاشر وحالط  
 أحد أولئك الاسافل ثم لم يسبق له ان دخل قاعات  
 المقامرة فكيف نلصق به تهمة لا تصدق أن يأتيها من

- انى كنت اعرف رضا شهما لما كان بالاستانة ولكن  
من يعلم وكيف نتأكد ان اطواره لم تتغير. ألا تعلم ان  
كل من بلغ سن الرجولية بالاستانة تتغير اطواره تماما  
- صدقت ولكن اخلاق رضا لازالت كما كانت  
عليه فلا يتخط طريق الصواب . ألم تلاحظ مديح دولة  
المشير ، احمد افندي له وقت التحقيق رغمان كونهما  
يكبرهانه كرماء عظيماء فلم يمدحاه خوفا من أن تثبت اللجنة  
كرههما له ، لكن سيره الحميد واخلاقه المرضية اصطراهما  
ان يدكر اه الطيب ويثنيان عليه

ولمعد الى ما كفا فيه فان رضا لك بريء مما انهم  
به وقول سرور اعامن ان من اوقع رضا بالتهمةتين هو  
واحد في محله وتأكد ياسيدي انه اذا انتدب سروراغا  
لمسألة رضا لابد ان يكشف غوامضها ويقبس على الفاعل  
في مدة لا تزيد عن اسبوع لانه ذو دهاء وذكا ، نادر  
وهل يسرك يا حقي ان يصل الى مسامع جلالة  
السلطان ان سرور اغا قبض على الفاعلين في مدة لا تزيد



ـ على ان اعرض المسألة على دولة الوالي فاذا قبل  
 اقتراحكم اخبر الصدر الاعظم بالاستانة لاخذ رأى  
 نخامته فاذا وافق على اقتراحكم واقتراح دولة الوالي  
 نقرر بارسال سرور اغا الى مصر وانا الازداهب لمقابلة  
 دولة الوالي فانظروني ربنا اعود اليكم  
 قال كاظم باشا ذلك وخرج

### الفصل الثانى عشر

كان حقى ضابط البوليس السرى وساعد كاظم  
 باشا القوى موحوداً بغرفة اللجنة حين وعود سرور  
 اغا بها وحصول المناقشة لارساله الى القطر المصرى  
 ومصادقة سعيد باشا الكردي واعضاء اللجنة بوجوب  
 تعيينه لكشف مسألة رضا  
 فلما خرج كاظم باشا من غرفة التحقيق تبعه حتى  
 الى خارجها وسأله عن رأيه في اقتراح سعيد باشا  
 واعضاء اللجنة فاجابه  
 سأخبر الصدر الاعظم بوجوب تعيين سرور اغا

إذا وافق الوالي وأطلب من نخامته اصدار امر بسفر  
سرور اغا الى القطر المصري .

اعذوني ياسيدي اذا قلت يجب ان تتروي قبل  
مقابلتك للوالي واسمح لي بأن اعرض عليك امراً واحداً  
- وما هو يا حقي

- دعنا نخلو بأنفسنا في احدي الغرف فاشرح لك  
ما يفكري  
- لا بأس

وسار الى غرفة فدخلها وأقفا بابها فقال  
كاظم باشا

نحن الان على افراد فحدثني بما ترتأه  
- ان ماتكم به سرور اغا هو الحقيقة ياسيدي  
- وكيف ذلك يا حقي

ان المشير بريء مما اتهمته به ومزور الاشارة  
والذي أوقع رضا بتهمة القتل والسرقة هو واحد وهو  
الان بالقطر المصري كما قال سرور اغا  
- وكيف اتضح لك ذلك

- وهل تذهب ممي ياحق
- ان كان لدولتكم رغبة في ذلك فلا تأخر
- لا بد من ذهابك برفقتي مع خمسة من رجالنا
- الامناء الذين يمكننا الاعتماد عليهم وانا ذاهب الآن
- لمقابلة الوالى

وافترقا فخرج كاظم باشا من السراى وقصد منزل  
الوالى ودخل عليه فرحب الوالى به وأجلسه بجانبه  
وسأله عن سبب حضوره فاطلمه كاظم باشا على الإشارة  
التي وردت من مصر من رضا بك واخبره باقتراح  
سرور اغا ولجنة التحقيق وطلب رأيه في ذلك فقال  
اقتراح سرور اغا عين الصواب فهل قبل على  
الدخول في هذه القضية

- لقد طلب ذلك بنفسه

- مادام الامر كذلك سلمه الاوراق ودعه يسافر  
الى القطر المصرى

- أرى أن جميعكم على رأي واحد في مسألة سرور اغا
- تأكد انه يقدر ان ينهي المسألة في مدة اسبوع

ويظهر الفاعلين وتظهر براعة رضا فلماذا نظلم الأبرياء  
إذا كان الماعلين ليسوا بدمشق

- يظهر من قولكم أن سرور اغا ذو دكاء نادر  
- تؤكد لدوائكم أنه يفعل ما يقول . ألم تبلغك  
أفعاله بدمشق

- بلغني أنه ظالم مستبد لا عدل في أعماله  
- ألم بلغك بذلك من أراد الوشاية به فهو جاني  
عجيب ينذر أن يأتي الزمان بمثله

وأفعاله فائقة حد التصور حتى يتصور من يسمع  
بها أنه في زمن المعجزات .

فلما تعينت والي الولاية سوريا دعاني رؤساء المصالح  
ليلة وصولي دمشق إلى ليلة أنس ودار بين المجتمعين  
حديث عن أفعال سرور اغا العظيمة فكنت اسمع ذلك  
ولا اصدق ولولم نكن في زمن لا يعتقد فيه بالخرافات  
لقت أنه من زمرة الجان

ومع ما هو عليه من الدهاء والذكاء والمهارة  
فهو رجل صالح عالي الهمة شريف النفس ينفر من

عن اسبوع مع اتنا هنا منذ نيف وخمسة شهور نبحث  
ونتحقق بدون فائدة وماذا يقول عنا جلالة اذا  
رجعنا بخفي حنين ثم بأي وجه نقابل رجال الدولة اذا  
ذاع صيـط سرور اغا في الاستانة

وماذا نقول لهم اذا سألونا عن المسألة : نقول لهم  
اتنا فشلنا فيضحكون علينا ويهزأون بنا ويقولون انك  
يا كاظم لست اهلا لهذا المركز السامي فيجب ان تنحلي  
عنه لسرور اغا لانك دونه مهارة

ثم ماذا نقول لجلالة السلطان اذا صلبا الى المشول  
بين يديه وسألنا عن المسألة ؟ نقول له اتنا فشلنا فعين  
سرور اغا لانه اكثر دهاء ومهارة منا .

وماذا يفعل اذا قلنا له ذلك . ذا رأف ما يطردنا  
من امامه ويجردنا من وطائنا فنسقط حتى من عين  
العامه

- لقد عبرت عن فكري ياسيدي ولهذا قلت
- يجب ان تروي قبل مقابلة الوالى
- ما الراى يا حقي

- الراي الاوفق ان تطلب من الباب اله الى ان  
يامرك بالسفر الى القطر المصري لتقبض على الفاعل  
ومتى صرت هناك تظهر مهارتك وتبحث عن الفاعل  
بهمة يعمدها فيك رجال الدولة وجلالة السلطان  
وتأكد ياسيدي أنك ستفوز وتقبض على الفاعلين  
فعند ذاك تنهال عليك نعم جلالة السلطان وتملأ من تبتك  
عنده

- صدقت يا حقي

- اقصد الوالى واتفق معه على ان تطلبنا بلسان  
البرق من الباب العالى اصدار امر لك بالسفر الى  
القطر المصري ومخاطبة حكومتها لتقبلك مندوبا ساميا  
وتعضدك للسعي وراء الاشقياء وان تكون مطلق  
التصرف اى ان لاحق لاحد في اعتراضك فيما تفعل  
وان يصدر امرا الى مدير البوسته والتلغراف بحجز  
كل اشارة برفيه او تحارير يشتبه بان لها علاقة بماله  
رضائهم ان لا يبرح سرور اغا دمشق الا بامرك .  
ويكون وكيلك عنك لانعام تحقيق تزوير الاشاره

الشروع فاعليها ويضرب على أيدي الاشقياء بهما من  
حديد وينقذ المظلوم من الظالم ويأخذ له حقه منه قهراً  
— ما دامت هذه افعاله وصفاته فلماذا لم تخبروا

الباب العالي بطالبه وكنتم وفرتم علي مشقة حضوري  
وبعدى عن وطي ومركز وظيفتي مدة خمسة شهـور  
فقد اعلمتم لانكم لم تطلبوه لكشف تزوير  
الاشارة وانتقاد رضا مما هو فيه الآن في القطر المصرى  
— لقد طلسته يوم اتهم رضا بالمؤامرة وعرضت  
عليه ان يقوم لتحقيقها فرفض فتهددته بالرفق فلم يهتم  
بل قدم استعفاءه على ورقة وتركها امامي وخرج

فاسعربت ذلك منه ورفضت قبول استعفاءه

لان دمشق بل عموم سوريا لا تستفي عن رجل  
عظيم مثله فلو ترك مركزه يوماً واحدا لقلت على راحة  
اهالي دمشق السلام

وقد علم الشقي اعى به رئيس العصابة ضد رضا  
ان سرور غارفض التداخل بهذه المسألة فبعث

بالارض فسادا حتى كادت اهاالي دمشق تصبح من افماله  
 وكنت في خلال ذلك قد خبرت الصدارة  
 العظمى واعلمتها بمسألة رضا واظن هذا هو السبب  
 في حضورك

فقال كاطم باشا وهو يتلع ريقه  
 ما دام سرور اغا رفض سابقا ما عرض عليه  
 وتنحي عن النداخل بمسألة رضا والبحث عن الماعل  
 فلا لزوم لخبرات الصدارة العظمى لاصدار امر بارساله  
 الى مصر

- ولكنك اخبرتني انه طلب منك ان تأمر له  
 بالسفر الى مصر فلماذا ترفض وتوقف عن طلب  
 الامر له بالسفر

ساقوم بنفسي لمصر بصفتي مندوبا ساميا لتحقيق  
 المسألة

وقد ظهر لي ان المزور للاشارة هو ذات اللص  
 والقاتل الذي اتى برضا في تهمة القتل والسرقة  
 واؤكد لدولتكم اني لا افضي بمصر اكثر من عشرة



أيام حتى يكون الفاعل في قبضة يدي  
 فما رأيكم اني اريد مخابرة الصدارة العظمي لتصدر  
 أمرها لي بالسفر لمصر

- هل عزمتم ان تصحب معك سرور اغا  
 - كلا لا اصحب معي الا رجالي الامناء الذين  
 اعتمد عليهم في الملهمات فراققة سرور اغا لي تذهب  
 اتعابي ادراج الرياح  
 - ولماذا ياسيدي هل وجود سرور اغا معكم يضر  
 بكم

- لاشك وهو اكبر مساعد للاشرار فيدبر على  
 معا كستي اذ يسهل لهم طرق الفرار  
 وله يد في ايقاع رضا بتهمة اللصوصية والقتل كما  
 وانه المزور لتلك الاشارة ضده كي يلقيه في الهلاك  
 وساعده على ذلك رجاله الاشرار  
 - انا لا اصادق على ما تقول  
 - لو كان لك دراية باعمال رجال البوليس السري  
 الخفية لصادقت على ما تكلمت به

- فكرك في غير عمله فاذا اردت ان اصادق على  
كلامك برهن لي كيف اتهمت سرور اغا بما لا يصدق  
عنه وماذا ثبت لك من التحقيق لتلصق به تهمة لا فائدة  
له فيها ولا تنأني من رجل عالي الهمة شرب النفس  
شرباً مثله

- طعمه في نيل الرتب السامية والريح حراًه على  
الافعال الدينية

سلم افهم ارجوك ان تفسر معنى كلامك  
- اسمع . دس سرور اغا الى احد رده ان يزور  
اشارة يتهم بها رضا بالتآمر ضد جلالة السلطان لعلهم  
انه مثيري وانه سينال من جراء ذلك . بلما رأوا  
ويسعى ببراءته مما اتهم به بعد قبضه . ثم ينال  
اسماً عظيماً في الاستانة حيث يصل خبر مائة رضا الى  
مسامع جلالة السلطان فتعلو عنده منزلته

فرضا الى مصر فعلم سرور بذلك . رأي ان  
فريسته نجت وبنجاحها خسر الجهتين المال وعلو المنزلة  
غارسل من رجاله اقوام واشدهم فتكا فملوا ابن

احمد باشا بمنزله وسرقوا مجوهراته واتهموا رضا بذلك  
ولم يتم سرور اغا لما حضرت للتحقيق لعلمه اننا  
لا نعرف مقروضا ولكن لما دعونااه واعلمناه بوصول  
اشارة رضا التي اعلمتنا بوجوده بمصر تأكدنا سنكتشف  
سر المسألة فعرض علينا ان يقوم بهذه المهمة بنفسه الى  
مصر للتحقيق فاذنا نقول في ذلك ياسيدي

تصور ماذا عزمنا ان افعل بسرور اعا ورجاله  
تى اتممت التحقيق وكشفت سر المسألة

عزمت متى انتهيت ان أقبض عليه وعلى رجاله  
واجعل لهم في السجن منزلا ازين غرفة فيكون احسن  
موى لهم

- اومر ما تشاء أما أنا فلا أصادق على افكارك  
- رعب محارة الصدارة لسفري حالا ثم اصدار  
أمرها بعدم خروج سرور اغا من دمشق قبل رجوعى  
من مصر

وان دم استعماءه ورام السهر الى مصر  
- اقبضوا عليه وزجوه في السجن

- وكيف اقض عليه بدون سبب  
 - أنا اعطيكم امرا بالقبض عليه  
 اذا دلا تأخر عن القبض عليه فتى مرادكم مخابرة  
 الصدارة

- الآن

- وما الذى اوقفكم عن ذلك  
 - منتظر موافقة دولتكم على رأيي  
 - أنا لا أتدخل بهذه المسألة مطاقا  
 والاوامر الصادرة لى من الصدارة ان أعطيكم  
 القوة العسكرية اذا لزم الامر اليها  
 - اذن ترغب ان اخبر الصدارة بدون مداخلتكم  
 - نعم

فاستأذن كاظم باشا وخرج قاصدا الى سراى ودخل  
 غرفة التحقيق حيث كان سعيد باشا واعضاء اللجنة  
 بانتظاره وقال

لقد عرمت على السفر الى مصر للتحقيق والبحث  
 عن الفاعل - قال ذلك وسلم الاشارة الواردة من رضا

الى سعيد باشا

وجلس كاظم باشا على منضده وخط على ورقة  
اشارة الى الصدارة العظمى بالاستانة شرح لها ما اهم  
به رضا بمصر وطلب صدور الامر اليه بالسفر لالتحقيق  
والبحت عن التفاعل ومخاطبة حكومه مصر بمساعدته  
ارسل الاشاره مع احد رجاله الى مكتب التلغراف  
ولبت ينتظر الرد

واستأذن سعيد باشا وخرج الاشارة بيده وقصد  
دائرة فائق باشا وطلب مقابلة والدته رضا واطلمها على  
فحوى الاشارة الوارده من مصر  
فأغنى على الوالدة المسكينه فطلب سعيد باشا  
الباشا وبعض الجوارى واخذوا يعتنون بها حتى عاد  
اليها وعيها فصرخت تقول

ولدى رضا . . . حبيبي رضا . . . اين كنت  
يا ولدى المحبوب . . . ما هذا المصاب الذى وقع علينا  
يا الهي . . . لماذا يريدون هلاك مهجتي لماذا يريدون  
قتل ولدى . . . رحمتك وكن عوناً له يا الهي واقتده مما

أخذت الوالد للسكينة الحزينة تبكي وتنوح بما  
يفتت الالكباد فتأثر سعيد باشا وبكى على ما أصاب ابن  
صديقه العزيز وما وصلت اليه حالته وحالة والدته لفقدته  
وأخذ يخفف عنها ما ألم بها فقال

خفي ما بك ياسيدي فللكون رب يدبره وهو  
مطلع على ما يفعله الظالمون وقادر على ان ينقذ ابنك  
رضا مما هو فيه

- ما عاد الانتظار يفيد شيئاً ياسيدي فقد عزمت  
على السفر الى مصر وان اقع على اقدم والدته سمو  
الخديوي واطلب منها أن تسترحم سموه عن ولدي  
فيمفوق عنه

- الا وفق أن ترسل عطا أفندي وفيروز أغا  
بتحرير من يدك الى سمو الخديوي تشرحين له المسألة  
وتطلين فيه عفوهُ فان أفاد كان به والا فمطأ أفندي  
يخبر والدك من مصر بلسان البرق عما وصلتم اليه وعما  
برضا من الضيق

قضى أمكان فقامته ان يخبر سمو الخديوى فينفو عن  
رضا ويأمر بالافراج عنه

- ولماذا لا نخبر والدى من هنا

- جميع الاشارات البرقية التي لها علاقة بمسألة  
رضا تحجز فاذا خابرتي والدك فلا تصل له الاشارة  
- وكيف ذلك ياسيدي

- قد صدر امر بتوقيف التحارير ايضا اذا اشتبه

بها

- وممن صدر الامر

- يجب ان تعلمى كل شيء

لقد ظهر ان الاشارة البرقية التي وردت بالقبض

على رضا مرورة

ومضى على كاظم باشا خمسة شهور وهو يحقق

وكان نتيجة ذلك ان زج يعض الابرياء بالسجن

واستلم اليوم كاظم باشا اشارة رضا

فقاطعه الهانم وقالت

بأي حق يستلم اشارة مرسله باسم غيره

أخذت الوالد للسكنة الحزينة تبكي وتنوح بما  
يفتت الالكباد فتأثر سعيد باشا وبكى على ما أصاب ابن  
صديقه العزيز وما وصلت إليه حالته وحالة والدته لفقدته  
وأخذ يخفف عنها ما ألم بها فقال

خفني ما بك ياسيدي فللكون رب يدره وهو  
مطلع على ما يفعله الظالمون وقادر على أن ينقذ ابنك  
رضا مما هو فيه

- ما عاد الانتظار يفيد شيئاً ياسيدي فقد عزمت  
على السفر الى مصر وان اقع على اقدم والدته سمو  
الخدوي واطلب منها أن تسترحم سموه عن ولدي  
فيمفوه عنه

- الا وفق أن ترسل عطا أفسدي وهروز أغا  
بتحرير من يدك الى سمو الخديوى تشرحين له المسألة  
وتطلبين فيه عفوه فان أفاد كان به والا فمطا أفسدي  
يخبر والدك من مصر بلسان البرق عما وصلتم اليه وعما  
برضا من الضيق



قضى أمكان فخامته ان يخبر سمو الخديوى فيمنوعه عن  
رضا ويأمر بالافراج عنه

- ولماذا لا نخبر والدى من هنا

- جميع الاشارات البرقية التي لها علاقة بمسألة  
رضا تحجز فاذا خابرنى والدك فلا تصل له الاشارة  
- وكيف ذلك ياسيدي

- قد صدر امر بتوقيف التحارير ايضا اذا اشتبه

بها

- وممن صدر الامر

- يجب ان تعلمى كل شيء

لقد ظهر ان الاشارة البرقية التي وردت بالقبض

على رضا مرورة

ومضى على كاظم باشا خمسة شهور وهو يحقق

وكان نتيجة ذلك ان زج بعض الابرياء بالسجن

واستلم اليوم كاظم باشا اشارة رضا

فقاطعه الهانم وقالت

بأي حق يستلم اشارة مرسله باسم غيره

- الم اقل انه صدور امر بحجز كل اشارة او تحرير  
له علاقة بمسألة رضا

فلو خأ الاشارة عني او انكرها فمن اين لي ان  
اعلم بوقوع رضا بتهمة جديدة اشد من الاولى  
ولتعد الى ما كنا فيه قلت ان كظم باشا استلم  
الاشارة ودعاني اليه وقرأها امامي وامام اللجنة وطلب  
رأبي فعرضت عليه أن يرسل سرور اغا لهذه المهمة  
فرفض وقال انه سيقوم بنفسه الى مصر  
- وما رأيك الآن في هذه المسألة

الوافق كما قلت لك ان ترسلي عطا افندي لمريضة  
او تحرير الى سمو الخديوي وان لم يفد ذلك فيخابر  
والدك رأسا من مصر

- وماذا يضر اذا سافرت بنفسي الى الاستانة  
وقابلت والدي وشرحت له الحاله وطلبت منه ان يحابر  
سمو الخديوي بمصر بالافراح عن رضا  
او اذا لزم الحال التمس المثلول لدي جلالة السلطان  
وانامتا كدة انه سيعفو عن ولدي اذا أحرته بجميع ماجرى

- رأيك موافق ولكن أخاف ان لا يكون صدر  
الامر بعدم خروجك من دمشق  
- أيقدر أن يوقفني عن السفر الى الاستانة لمقابلة  
والدي

- ان الامر الذي بيده يخوله على اجراء كلما يترأى  
له فالأوفق ان تبعدى هذا الفكر عنك لئلا يلحقك  
بعض الالهانة

- حسنا فقد افعلت عن رأيي وفوضت الامر اليك  
- سأذهب واحط لك العريضة الى سمو الخديوى  
فتوقعين عليها وتنبهين على فيروز اغا مان يكون مستعداً  
للسفر بعربة البوسطة « ١ » هذا المساء مع عطا فندى  
وارسل سعيدنا شافط لم سرور اعمد ير الضبط  
فحضر وارسل الهام احد خدمه اليأتى بعطا فندى  
وفيزوز اغا

---

« ١ » كان عادة ان يسافر الالهالى بعربات البوسطة  
قل انشاء السكك الحديدية في سوريا نجر كل عربة ثلاثه  
او خمسة من جيااد الخيل

وشرح سعيد باشا لسرور أغا ما ارتأه وما اتفق  
عليه مع المهتم على ارسال عريضه مع فيروز اغا وعطاه  
افندي لسمو الخديوي وان يخبر نخامة الصدر  
الاعظم ولد المهتم وجد رضا بلسان البرق اذا رفض  
سموه الطلب

فقال سرور أغا - نعم الرأي رأيكما  
ووقتئذ دخل فيروز اغا وعطاه افندي فاخبرهما  
سعيد باشا بما صار عليه الاتفاق من سفرهما الى مصر  
وافهمهما عما يفعلانه فقبلا بسرور  
فقال سرور أغا - سأرسل برفقتهم خمسة من  
رجال الامناء ليتجسسوا الاحبار ويعرفوني عن كلما  
يحدث يوميا بلسان البرق

واذا لزم فاني أسير الى مصر لاسرع ما يمكنني  
ولو رغما عن كلما يعترضني ومادمت حيا ارزق فلا  
خوف علي رزقا

فقال سعيد باشا - كيف تُصَلِّك الاشارات مادامت  
المراقبة شديدة ألم يبلغك الاوامر التي صدرت لمدير

التعريف بمجيز كل اشارته يشتم منها المداخلة بمسألة رضا  
 - لأهمهم بالمراقبة فلا اشارات تصلي بطريقه لا يعلمها  
 الا أنا ورجالي فاسمحوا لي بالذهاب لانه على رجالي  
 كي يكونوا على استعداد للسفر في عربة البوسطة مع  
 فيروزاغا وعطا افندي

وخرج سرورواغا وبعد عشر دقائق خرج سعيد باشا  
 وكان الخبر قد شاع بالسلامك الخارجي وبالحرم  
 أيضاً فأخذت النساء بالبكاء وارتبك الخدم وزاع الخبر  
 في انحاء دمشق بتهمة رضا بمصرفصار المحبون يتواردون  
 ليعلموا الخبر الا كيد من وكيل الدائرة او من الخدم  
 وكان بجانب سراي فائق باشا منزل \* غير يسكنه  
 شيخ يبلغ خمسة وسبعين عاماً وعمره تقارب سنه وخادم  
 وخادمة

وهذا الشيخ هو واصف باشا الذي كان باسكاتب  
 المابين الاستانة وقد حضر مع فائق باشا منذ ست  
 سنوات لما أراد سكي دمشق  
 وأسكنه الوزير هو وأسرته داخل سرايه وبقي

تديماً له حتى بلغ سن الشيخوخة وأقدمه الكبر عن  
خدمة الباشا فاسكنه في المنزل الصغير المجاور لسرايه  
وبقي فيه وعائلته يزوره الوزير كلما سنحت له الفرصة  
حتى توفي فايق باشا

وسار رضا على خطة أبيه في معاملته للشيخ واصف  
فكان يحسن إليه ويتردد عليه ويكثر من المكوث عنده  
وانقطع رضا عن زيارة الشيخ فجأة مشعر بالوحدة  
ولم يعلم سبب انقطاع ربيبه عن زيارته

وبلغ من خادمه ما شاع في أنحاء دمشق بمسألة  
رضا فارسل وراءه فيروز اغا وتأكد منه الخبر ورجاه  
بأن يرسل إليه سرور اغا مدير الضبط بأسرع ما يمكنه

### المصل الثالث عشر

« سرور اغا والشيخ واصف »

فلما ان كاظم باشا كان في غرفة التحقيق ينتظر  
ورود رد الاشارة التي ارسلها الى الصدارة العظمى  
لتصدر له الامر بالسفر الى مصر في الساعة الثالثة بعد  
الظهر وصله الرد وهذا نصه

« مدير بوليس الاستانه السري بدمشق »

وصلت اشارتكم وحسب طلبكم ارسلنا اشارة برقية  
الى سمو خديوى مصر بان يوافق التحقيق بتهمة رضا  
بك فايق حتى تصلوا مصر وتقابلوا سموه  
وان يعامل رضا معاملة حسنة حتي وصولكم هناك  
واصدرنا الاوامر اللازمة وارسلت بالوسطة اليوم  
فتستلموها من الاسكندرية وارجوا ان تكون ثقتي بكم  
اكيده فظهرون الفاعل وتقبضون عليه ليعاكم جزاء  
ما فعلت يداه

ونرجو ن تخايرنا عما يحصل يوميا

الصدر الاعظم

محمود نديم »

فلما قرأ كاظم باشا الاشارة التفت الى حقي وقال  
اذهب وابحث عن خمسة رجال تعتمد عليهم ليرافقونا  
الى مصر ثم جهز لنا سبع تذاكر الى بيروت  
فخرج حقي مليا امر كاظم باشا ليجث عن  
الرجال وجلس رئيسه على مقعد يترب منضده وحرر  
امر الى والي ولاية سوريا بمنع سرور اغا عن السفر  
والمخرج من الولاية

ثم امر آخر الى مدير التلغراف والوسطة بضبط  
وحجر كل اشارة وتحرير يشتبه بان له علاقة بمسألة القرصا  
وارسل فاحضر سرور اغا واخبره ان الصدارة العظمى  
رفضت اقتراحه بالسفر الى مصر واصدرت امرا بلسان  
البرق اليه بان يذنه عليه بان لا يبرح دمشق واورته هو  
بالسفر لمصر للتحقيق فقال سرور اغا

اني مطيع للاوامر واذا تصادف وانكم في احتياج



الي وانتم بمصر فما عليكم الا أن تأمروني بلسان البرق  
فأكون عندكم بأسرع من طريقة عين

فشكره كاظم باشا بلسانه لا قلبه وصرفه

خرج سرور اغا من حضرة مدير البوليس السرى  
وقصد منزله ووقف على باب احدى الغرف ونقر نقرا  
مصطاحا عليه ففتح الباب

فدخل سرور اغا واقبله باعتناء وقال مخاطب  
خمسة رجال

هل انتم على استعداد أيها الرجال للسفر برقعة  
فيروز اغا وعطا افندي وكان جوابهم اخفاء الرؤوس  
- هل علمتم لماذا اريد أن ابث بكم الى مصر  
فكان جوابهم كالاول

- لا ازيدكم شرحا وكفى انى اعتقد فيكم انكم  
شجعان اشداء ذوى بأس امناء لي

وارجو ان يكون اعتقادى في محله فاقسموا لي  
ان تسفكوا آخر نقطة من دمكم في المهمة التى انتم

فرن في الغرفة صوت خشن  
 اننا نقسم لك بذلك  
 - ستة افرون الليلة يا رجالى الامناء  
 فاخت الرجال الرؤوس تصديقا لقوله  
 وخرج سرور داهية دمشق ورجلها العظيم من  
 منزله واختفي في شوارع المدينة  
 وفي مساء ذلك اليوم سارت عربة البوسطة  
 قاصدة بيروت تقل عطا افندي وفيروز اغا يحتاط بهما  
 الرجال احدهم فوزى احد ضباط البوليس السري واحد  
 رجال سرور اغا الامناء واربعة من رجاله الاشداء  
 كاملي السلاح لتحميميهما من الطوارق  
 وفي الليلة التالية في الساعة الثالثة بعد منتصف  
 الليل سافر كاظم ناشا مع حقي افندي وخمسة من رجاله  
 الى بيروت



بقي الشيخ واصف في انتظار سرور اغا حتى

غروب شمس ذلك اليوم فلم يحضر قفرغ صبره واذ كان  
على وشك ان يدعو خادمه ليرسله الى سرور اغا فتح  
الباب ودخل الخادم وقال

سرور اغا بالباب ياسيدي

فقال الشيخ - ويك أريد ان يستأذن لي دخل  
أسرع به الي

فخرج الخادم وبعد هنيهة دخل سرور اغا  
ومع ما كان عليه سرور اغا من الشدة والبأس  
وخشونة الطباع مع اللصوص كان لطيفاً مع الشيوخ  
كيري السن

دخل سرور اغا علي الشيخ واصف فأراد الشيخ  
ان يقف له فمنعه وقبل يده وقال

مساء الخير ياسيدي أظن أنك مللت الانتظار  
- صدقت يا ولدي وأظنك فهمت لماذا دعوتك  
- اظنك تريد ان تتحقق ما أشيع من ان رضامتهم  
في مؤامرة ضد جلالة السلطان

- ماذا تقول رضامتهم بمؤامرة ضد جلالة السلطان

..... كلام لم اسمع بذلك

- أظنك سمعت بتهمة في مصر بالاصوصية والقتل

- صدقت هذا ما سمعته ولكن بالله اخبرني ماهي

التهمة الاخرى

- زور بعض الاشرار اشارة برقية ارسلوها الى

المشير اتهموا بها رضا باشتراكه في مؤامرة ضد جلالة

السلطان

- غريب غريب ماذا اسمع ياسرور أيصدهون

أعداءه

سوف يظهر كل شيء ياسيدي الشيخ ويخرج رضا

بريثا مما اتهم به

هذا ما أوصل « يا أغا » ولكن كيف اتهم وما هي

التهمة التي اوقعه بها أولئك الاوباش بمصر وكيف

اتبعوه الى هناك

- هذه قصة يطول شرحها ياواليدي فاختصر في

شرحها لك فاقول

اخبر احمد باشا ..... احد كبراء مصر ان منزله

لشرق فسار اليه ودخله فوجد ابنه مخرجاً بدمائه  
ومجهراته عمومها مسروقة وبلغه الخبر ان الماعل  
هو رضا

وقد حضرت اشارة من رضا الي سعيد باشا فيها  
شرح المسألة فقال الشيخ وما العمل يا اغا في خلاصه  
- ارسلت عطا افندي وفيروز اعا وخمسة من  
رجال الامناء الاشداء الى مصر ليتأكدوا ماهو حاصل  
هناك ويبلغونا بذلك

- هل تعرف من الذي اوقع رضا بك بهذه التهمة  
كيف - يمكنني ان اعرف الماعل وانا لم اطلع على  
تفصيل ما حدث

- انا اعرف الماعل . انا اعرف المدبر لهذه  
المكيدة يا اعا

- ومن هو ياسيدي  
- لا يتجرأ على عمل كهذا الا عمه احمد افندي  
واحمد باشا ...  
- وكيف اتضح لك ذلك

- من دنائة اصلهما ومحبتهما للشر لاسيما وانهما  
يكرهان رضا كرها شديداً

- كيف تقول ان احمد ذنب الاصل حقير مع انه  
شقيق فائق باشا وعم رضا

- كلا يا اغا انه ليس شقيق الوزير فائق باشا بل  
هو احد اللصوص المتشردين

- وكيف ذلك ياسيدي

- لا يعرف عيرى سر المسألة يا اغا وصار يلزمني  
ان اشرح لك ما أعلمه ولو كان ضد وصية المرحوم  
فائق باشا

وقد اوصاني الباشا قبل وفاته بان لا ابوح بالسري  
الا لولده وروجه هذا اذا ادعي احمد افندي بان له حق  
في ان يرث جانباً من الميراث وطالب بنصيبه

- وما هو هذا السري ياسيدي الشيخ

- السري في مذكرة كان سلمها المرحوم فائق باشا  
الى زوجته قبل وفاته كي تسلمها الى رضا حين بلوغه  
الخامسة والعشرين من عمره فاطلبها منها واقرأها

## تعرّف السر

- انى فى اشتياق لمعرفة السر قالى الملقى ياسيدى  
 وخرج سرور اغا وقصد سراى فائق باشا وطلب  
 مقابلة الهانم ورجاها ان تعطيه المذكرة كي يطلع عليها  
 اذ لزمها يكون فى ذلك صالح رضا  
 فدخلت الهانم واخرجت دفترها ضمتها من  
 خزانتها الخصوصيه وسلمته الى سرور اغا وقالت  
 احرص عليه وعند فراغك من تلاوته سلمنى اياه  
 فوضع سرور اغا الدفتر بجيبه باعثناء ثم استأذن  
 وقصد منزله بملء السرعة لاشتياقه لقراءة ما بالدفتر

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ❦





## الجزء الثالث

### الفصل الاول

« تاريخ حياة فائق باشا »

وصل سرور اغا المنزله ودخل احدي الغرف وأقبل  
بابها عليه واخرج الدفتر من جيبه ليقرأ  
وكان يحتوي على تاريخ حياة الوزير فائق باشا منذ  
ولده حتي قبل وفاته بعام

وحيث أن تاريخ حياته له علاقة كبري بروايتنا  
لزم شرحه بالتمام وهذه المذكرة لانزال بمنزل فائق  
باشا الى الآن بمكتبته الخصوصية بالاستانة  
فأخذ سرور اغا يقرأ ما يأتي  
« تاريخ حياتي »

« انا فائق الفلاخي ولدت في عام ١٢١٥ في ٧ محرم  
الموافق ٢٨ ابريل سنة ١٨٠١ من والدين تقيين  
وكان ولدي الحاج قايد الصلاخي قد حصر من  
ايلاتي الفلاخ والبغدان الى دمشق للتجاره في سنة ١٢٠٨ »

هجرية أى سنة ١٢٩٤

وكان مثيرا ففتح محلا كبيرا تجاريا فربح ربحا طائلا  
واشتهر اسمه وذاع صيته فأتته التجار من البلدان  
والقري تبتاع منه ما رامت من البضائع  
وتعرف وقتئذ مجدي مصطفى اغا البغدادي فزوجه  
ابنته أي والدتي فرزقاني

ولما كنت وحيدا اعني بي اعتناء عظيما وكان  
يحادثني وانا طفل باللغات الافرنسية والروسية واليونانية  
ثم أجبر والدتي بان تحادثني باللغة التركية فقط وما  
بلغت الخامسة من عمري حتى كنت أتكلم باللغات  
الاربعة خلاف اللغة العربية التي كان يحادثني بها الخدم  
ولما رأي والدي نجاتي في حفظ اللغات اتى لي  
بمعلمين وأساتذه ماهرين ليلقنوني العلوم في سرايا  
وكانوا اثنين من اوروبا والثالث أحد مشايخ  
الاسلام . وما بلغت الخامسة عشرة حتى اتممت دروسى  
وصرت ماهرا باللغات الاربعه  
وكان لي ابنة خالة جميلة تيسمت وهي في سن

الطفولية فضمنها والذني الينا واعتنت بها اعتناءها بي  
واحبيت ابنة خالتي لجمالها ولطفها ورقتها ولين  
طباعها وكنا ونحن في سن الصغر لا تفترق الا حين  
مباشرة دروسى

شبتا وشب الحب معنا وازداد وتمسك بقلبي  
حتى نادرا ان قدر الواحد على فراق الآخر  
ولما بلغت سن الرجال وبلغت ابنة خالتي سن  
الصبا بلع الحب بنا الى حد يقصر عنه التصور  
وكان قد رز صدرها وتوردت وجنتها بلون  
يشابه ورد لربيع حتى صارت فتنة لمن يراها  
وكنت أحهد نفسى في ان ابوح لها بما في قلبي  
فيمعني الحياء

ففي يوم ما اجتمعنا على انفراد وكل منا ينظر الى  
الآخر نظرة تعبر عن منكوبات ضميره  
ف نظرت اليها فتقابل النظران فابتسمت كماهاشعرت  
معنى ذلك فتشجعت وقلت هذا اوفق وقت لشرح  
حبي لها

(١) فامسكت احدي يديها وفركتها بلطف وقلت  
 - هل تشعرين يا ابنة خالتي بانني اميل اليك فقالت  
 - نعم يا عزيزي فثقي والاغرب اني كلما وقعت  
 أو جلست بجانبك اشعر بخفقان في قلبي لم افهم معناه  
 قلت - انا اشعر بـ - تشعرين به يا عزيزتي  
 وهذا دليل على ان القلبين مرتبطان

قالت بملء الطهارة - نعم وعسى ان لا تفرق

قلت - اذن فتحييني

قالت - لاشك يا مائتي واسال قلبك فيؤكد ذلك  
 ذلك ولكي اخاف لئلا نفترق لاني الان في سن الصبا  
 قلت - أتماهديني على الحب وان لا يخون احدنا  
 الاخر وان نحتهد في ان لا نفترق

قالت - أقسم لك بذلك

قلت - وانا اقسم لك ايضا بان اجعلك عروسـ الي  
 وساعمل جهدي بان اطالب من والدي الاقتران بك فهل  
 توافقين على ذلك

قالت - وقد صبغ الحياء وحنيتها - ليس يتم ذلك

ثم سحبت يدها بلطف وقبضت يديها على يدي  
اليمى وميلتها وبكت

فضممتها الى صدري ومسحت دموعها وقلت  
لماذا تبكين يا عزيزتي

قالت - قلبي يحزنني اننا سنفترق فراقا لقاء

بعده

ملت - حفي مابك يا فاطمة واصري عنك  
هذه الافكار

وما زلت ألاحظها حتى كفت عن البكاء وقالت  
ما أكثر ما تحبني يا فائق فهل تبقى على حبك  
وهل لا نفترق

قلت - كلا سوف لا نفترق ولن يزول حبك  
من قلبي

قالت - كلامك يذهب ما بي من الخوف وعسى  
العناية أن تسمع منك فلا تفرق بيدينا

ويدينا نحن في حديث يلذ للماشقين اذ بوالدتي  
قد دخت علينا فجأة ولما رأات أنار دموع فاطمة قالت

ما الخبر يا ابنتي لماذا كنت تبكين  
 فخرجت فاطمة أن تذكر لها ما داريننا فسكتت  
 فالتفتت والدتي الي وقالت  
 ما الذي أبكي فاطمة يا فائق احذر من أن تكون انت  
 السبب

فشرحت لوالدتي ما داريننا فضحكت وضممتنا  
 أنا وفاطمة الى صدرها وقبلت كل منا وقالت  
 كوننا باطمئنان يا ولدي فلن تفترقا وسأسمى في  
 قرانكما

ومن ذاك الحين اخذ الحب في ازدياد وصرنا  
 نجتمع بدون خوف ونشرح ما بنا من الحب بدون حياء  
 ودعاني والدي يوم ليسلمي ادارة محله التجاري  
 الواقع بسوء الارواح بمساعدة وكيل اشغاله  
 ولم أكن عالما بما يدبره لي والدي من مستقبلي  
 يظنه سعيدا لي فقال اذ كنا على اتراد  
 انت الآن يا ولدي في سن العصباء وجدير بأن  
 تدبر عملا كبيرا كمحل التجاري

وعزمت على أن أسلمك أشغالي كلها بعد اقترانك  
 بابنة أحد اصدقائي التي قد عزمت أن اجعلها زوجة لك  
 وهي ابنة احمد اغا «الشاهبندر» رئيس تجار دمشق  
 فلما سمعت ما قاله انقبض قلبي وقلت  
 ولماذا لم تزوجني بابنة خالتي فاطمة لاني احبها  
 حبا مبرحا

فقال - كلا لا اريد ان اتخذ لك قريبة من ذوي  
 قرابتك ولا ارجب ان يختلط لدم بالدم لئلا يضر بصحتك  
 فاسأل الاطباء في ذلك فتأكداني افعل ذلك لصالحك  
 فانزع من قلبك حب فاطمة وابعد عن ذهنك  
 ماتتوهمه وتصوره من السعادة بقربها واطعني ففي  
 اطاعتك لي فائدة لك واكبر صالح  
 فقلت - وما فائدتي اذا اقترنت بابنة الشاهبندر  
 وما هو هذا الصالح الذي يتأتى لي منها  
 فقال - اعلم يا فائتي ان احمد اغا ذو ثروة عظيمة  
 وتقود كبير في دمشق  
 وبمصاهرته تنال الشرف الاكبر نظرا لما عليه

ذلك أبيت من الشرف الرفيع وتصير مسموع الكلمة  
تفعل ما تل

فأما لك نك نضم الي ثروة ابيك ثروة طائلة  
قدرها ثلثمائة الف جنيه

فأما وترى ابنة احمد اغا ووحيدته تنال ثروة  
ايها فتضمها لي ثروتنا البالغة ثلاثمائة وعشرين الف  
جنيه فتسدر سمانه وعشرين الف جنيه

انظر كم بقي ثروتنا يا ولدي وستكون كلها لك  
باسمك و... لك أن تتزوج ابنته لتكسب مالا وشرقا  
ونفوذ... كما..

قل - مكر يا والدي ان ابنة خالتي ارفع شرفا  
من ابنة حمد اغا

فأما دمه عائلة الشاه بندر الي عائلة البكري واين  
الثريا من الزري

فأما - صدقت بقولك ان ابنة خالك ارفع شرفا  
من تلك... مال هو صاحب النفوذ وابنة خالك  
كما تعلم فقيرة لا تملك ما تقتات به



ولولا نحن والدتك على خالك وابنتها فاطمة لما كنا

جوعا فانظر يا ولدى بعين البصيرة الى ما أقول

قلت - تذكر يا والدى ان ابنة خاتى من عائلة

البكري من سلالة سيدنا أنى بكر الصديق رضى الله عنه

قال - كفى لجاجة يا فائق وعليك باطاعتى

قلت - ولكنى أهوى فاطمة يا والدى

قال - يجب أن تنزع حبها من قلبك

قال والدى ذلك وقد أخذ الدم يتصاعد الى وجهه

وشمرت مان عضبه أخذ يثور

فوقعت وقتل بين عاملين شديدين الحب أو غضب

والدى أيهما أنتقى

وخطرت على بالي حبيبتي فاطمة وتمثل رسمها

أمامي وتصور لى بانها تدنو منى وتماتبنى لاني خنتها

فصحت وقتل بدون وعي

كلا كلا لا أخونك ولا أرضي بفيرك زوجة

ثم تصور لى أنها تهرب منى وتقول

بل ستخونني وتطيع والدك وتزوج بك فأين

القسم يا خائن

فصرخت بصوت عظيم اربع والدي

كلا لست خائنا فني لا تهربي

فظن والدي أنني اصبحت بالجنون فقال

ماذ تقول ومن تخاطب يا فائق

فعدت الى وعيي وخجلت لما فرط مني ولبثت

صامتا

فقال - من كنت تخاطب وماذا جري لك

قلت لأعني ما كنت أقوله يا والدي فاصطحع عما

تكلمت به

قال - يجب أن تتزوج بانه أحد أغا كما قلت

قلت - الا تزال مصمما على زواجي بها

قال - نعم واحذر من معادتي

قلت - واذا كنت لا اقبل بان اتزوج بها لاني

احب فاطمة

قال وقد استشاط غضبا

ماذا تقول ايها الولد العفوف هل تتجرباً بان  
ترفض ما أعرضه عليك أهكذا يكون جوابك لي  
يا وفتح

فيجب أن تقتري بابنة احمد اعا رضيت الم ترض  
وسبكون كتب الكتاب بعد ثلاثة يام  
وسأحرملك من النظر لابنة خالتك فاطمه من  
الآن فصاعداً فاحذر من مخالفة ما أقول  
فأخذت أبكي من جراء ذلك وتأكدت انه اذا  
حجز فاطمه وأحرمني من رؤيتها أموت شوقاً اليها  
فرايت ان استرحمه فقلت

اشفق علي وعليها يا والدي ولا تحرم احدا من  
النظر الى الآخر وارحم صبياننا اذ يكاد يعبد احدا  
الاخر

كن رؤوفا يا والدي ولا تحرمني من فاطمه اذ  
لا أقدر ان اسلوحها فهي حياتي وعليها يتوقف مدار  
سعادتي

فقال بحده - خستت أيها النذل . اخرج من

أماى ولا عدت تريني وجهك

ثم دعا والدتى اليه وقال لها

احذرى من فائق يري فاطمه مرة اخرى والا

التزم باخراجها من المنزل وتسليمها الى عمها الشيخ

البكري

فاظهرت له والدتى الرضى خوفا من غضبه اذ

كان متبرججا

والثفت الي وقال

كن مستعدا ببعده ثلاثة ايام يكون كتب الكتاب

وأياك أرى يظهر منك ما يجعلني في ريب فاعذ بك الحياه

وأقول ان لا ولد لي

قال ذلك وخرج وتركنى أروح وابكي وأندب

سوء حظي وكأت والدتى قد تأثرت مما ألم بي من

الحزن فمالت وهي تمسح دموعي بمنديلها

لا تحزن يا فائق وكفكف دموعك واشرح مادار

بينكما عسى أن أحد دواء لذلك

فازداد حزني وبكاهى فبكت لذلك والدتى ومن

كثرة ما أثرني من الحزن أغمي علي ووقعت امام  
والدتي بدون حراك

وما اهدت حتي وجدت نفسي بين أحضان والدتي  
وابنة حالي تشفق بالبكاء وشعرها الجميل مسترسل على  
وجهها وظهرها

فأخذت يدها ولتمتها ونظري لا يتحول عنها غير  
منتبه الي اني محاط بمجمله من الجوارى للواتي حضرن  
على صراخ والدتي اذ اغمي علي  
رأيت ابنة خالتي تذرف الدمع مدراراً فقلت لها  
وقد نسيت مابى

كفكفي دموعك يا فاطمة فانا اعدك اني لا أقبل  
خلادك عروسا لي ولا تهتمي بما قوله والذي فلاجل  
الحب ارفض طلبه

قلت ذلك وقد ظننت انها عالمة بما دار بيني  
وبين والدى ولكي شعرت بان تسرعت في الكلام اذا  
تبين لي انها ما علمت بذلك بعد حيث قلت باندهاش  
هل رفض والدك بان نكون لبعضنا ألا نرغب

بأن أكون زوجة لك

فأردت أن أموه عليها لئلا يكدرها الخبر ولكني  
ارتبكت ولحظت هي ذلك فقالت  
لماذا تخني عني الحقيقة يا فائق  
فلم أقدر أن أكنم ما بضميري فصحت بصوت  
يشبه الجنون

كلا كلا أنت لي وأنا لك فمن يقدر أن يفصلنا عن  
بعضنا والويل لمن يقف في سبيلنا  
فقات والدتي والدمع ملء عينيها  
كلا لا يقدر على فصلكما عن بعضكما أحد فكونا  
باطمشان يا ولدي وألقيا علي العناية انكالكما فتقدكما من  
الشدائد ونحس عليكما قلب زوجي فيرأف بحالكما ولا  
يمانع نقركما

قال ذلك وأشارت إلى ابنة حالي بالخروج  
فخرجت وهي تزرف الدموع  
وإذا خلا المكان بي وبوالدتي وقعت على أقدامها  
وقلت

أغيبني يا والدتي من ظلم والدي الذي يريدني  
يذبني على مذبح اطماعه

فقلت - اخبرني يا فائق مادار بينكما من الحديث  
فاخبرتها بما كلمني به والدي فقلت

كن براحة بال يا ولدي فانا لا ارغب الا راحتك  
ولا يكون لك زوجة الا ابنة خالتك

فقم واسح دموعك واخفي كبدك ولا تحبر  
احد بما حصل بينك وبين والدك فقبلت يديها ونبلتني  
بمحنو والدي

فقلت لها - اني اخاف مما عرم عليه فقد  
قال ان كتب كتابي على ابنة احمد اغا سيكون بعد  
ثلاثة ايام

فتدبري يا والدتي ان تبدي قراني بابه احمد اغا  
بابنة خالتي فاطمة

وما كنت افرع من كلامي حتى فتح الباب ودخلت  
فاطمة وارتمت على عنق والدتي وبكت

فاحفظت انها سمعت مادار بيني وبين والدتي

وسمعت ان هذا الحب متبادل بيننا وان فراق احدهما  
للاخر يفقده وشده فقالت  
طمنا بالكما والقيما اتكالكما على مدبر الكون فهو وحده  
يدبركما

وصرفت والدتي ابنة خالتي وامرتني ان اغير  
ملابسي واخرج وان لا اظهر لوالدي اني منكدر  
قاطعتها وفعلت كما امرتني وخرجت وقصدت محل  
والدي التجاري فلما رايتني ابتسم فقبلت يده وجاست بجانبه  
ودعا والدي وكيل المحل الخواجا لطفى واظهر له  
ورغبته في تسليمه لي المحل تحت رعايته  
فقال الوكيل وهو يحني حبا عظيما  
الحمد لله ياسيدي الذي ارى عريزي هائق قادرا  
على ادارة عمل عظيم كهذا

فاعهد اليه بالعمل وانا ادريه على كلما يلزم واؤكد  
لك ياسيدي انه كفؤ لان تسلم اليه الاعمال  
وكان الخواجا لطفى رجلا امينا دامروءة خدوم  
محلنا التجاري بامانة وادار اعماله بهمة تشهد له بالمهارة



وقد دخل في خدمتنا منذ دخل والذي دمشق  
 وفتح بها محله التجاري فعمد اليه والذي ناشغاله وألقى  
 اتكاله عليه فقام بالعمل أتم قيام  
 فلما أخبره والذي بأنه يريد ان يعمد الي بالعمل  
 فرح فرحالا بوصف واخذني من يدي ودار بي يلمني  
 اسعار البضائع ودرجاتها  
 وبعد ساعتين تقريبا دخل والذي وحلس بجانبنا  
 وقال الى الوكيل

اتشم ياخواجا لطفي انه لا يمضي زمن يسير حتي  
 يصير ولدنا فائق قادراً على ادارة المحل  
 وبعد ثلاثة اشهر اذا شاء المولى سيدير عملا كبيرا  
 يفوق هذا أهمية فقال الوكيل  
 وما عسى ان يكون العمل

فقال والذي - عزمت ان ازوجه بانه احمد اغا  
 الشاهبدر بدمشق وبعد تمام العقد وانقضاء ليلة الزفاف  
 انضم المحلس الى محل واحد فيكون ولدي واحد اغا  
 بصفة شريكين وتكون ادارة العمل بيد ولدي وتحت

فتغيرت ملامح الوكيل وظهر عليه الارتباك  
فنظر الى فلحظ ان بي مابه واني متكدر من كلام والدي  
فقال له

ومتى اتفقنا وكيف تنفقا بدون علمي  
قال والدي - كما في صدد هذا الامر منذ أربعة  
شهور ولم تنفق الا امس  
قال الوكيل - وهل اتفقنا رسميا اى بكتابة أو عن  
يد شهود

قال والدي - كلا  
قال الوكيل - احمد الله اذا لم يكن الاتفاق رسميا  
قال والدي - لماذا ياخو انا لطفي الا ترى ان  
باقتران فائق بابنة احمد اغا صالح له  
قال الوكيل - كلا ولا أصادق على ذلك ولا  
ريد احمد اغا ان يكون شريكا معنا  
وانصحك ان ترفض الاتفاق الذي اتفقنا عليه  
اذ ان ادخل احمد اغا بهذا المحل شريكا يؤدي الى خرابه

وأنا اعارض اذا كنت مصمما على اتمام قصد احمد  
 أفا واعمل جهدي في منع اقترانه بآبنة ذلك الرجل  
 وسأستقيل متى رأيت المحلين انضما لانى لا أريد  
 ان أرى المحل التجاري الذي عملت جهدى حتى جعلته  
 كمروس بدمشق آيلا الى الخراب  
 وسكت الوكيل قليلا وعاد فقال

الا وفق ان تقياني من العمل الآن وادا رأيتم  
 تسايمي ولدكم فائق لاضعه تحت حمايتي أكون ممنونا لكم  
 فقال والدي - وكيف علمت ان المحل يؤول الى  
 الخراب اذا اشتركنا مع احمد اغا

لا سيما وانت تعلم انه من كبار الاغنياء وروته  
 تباع ستين الف كيس « ١ » فاذا اضفنا اليه ثروتنا  
 وقدرها خمسة وستين الف كيس كما احترتي فيكون  
 المجموع مائة وخمسة وعشرين الف كيس فكيف يؤول  
 المحل الى الخراب اذا انضم المحلان

فقال الوكيل - هل تكتم الخبر اذا اخبرتك بالحقيقة

قال والدي - كلا لا يمكن

قال الوكيل - اذا فانت وشأنك وارجوك ان

تقيلي من العمل

قال ولدي - نكنمك بدل على انك لست امينا

لي واعدك ~~في~~ الآن خائنا

قال الوكيل - أهذا جزائي بعد ان خدمتك

بأمانة مدة لا تقل عن ثمانية عشر عاما

أقول غني خائنا بعد ان وفيت الخدمة حقها .

لا بأس ياسيدي ارجوك ان تعفني من خدمتك

وتأثر الخواجا لطفي اذ وصمه ولدي بالخيانة

فتناثر الدمع من عينيه وقال هذا جزاء كل رجل يخدم سيده

بأمانة

وشعر والدي بانه جرح وكيله بنسبته اليه الحياة

زورا فقال

سامحي يا خواجا لطفي فتكتك جملي ن تسرع

واقوه بخلاف ما في ضميري وانت تعلم اني لا اعتبرك

غريبا ولا صديقا فقط بل اخا اتكل واعتمد عليه في

الملمات . فهل لم تزل مصر على الكتمان  
 فقال لو كل بصوت محتق - لقد آن لان  
 أمارق مركزى لقد آن الان استقيل ياسيدي  
 وشعر الوكيل بضعف في جسمه فقال  
 اعذرني اني اريد الذهاب الى منزلي  
 وما كاد يقترب من الباب حتى سقط على الارض  
 غائبا عن الصواب فاسرع والذي واتي ببعض الخدم  
 فحمله الى منزله  
 واستدعى الطبيب لمعالجته وبعد فحصه قل انه  
 مصاب بضعف في القلب وزاده الحزن ضعفا فلم يقوي  
 على المسير فغاب عن صوابه  
 وقيت وحدي في المحل حزينا على ما اصاب  
 الخواجه لطفي وتذكرت حنوه علي فدمعت عيناي  
 وما صدقت ان اتى المساء حتى قفلت المحل  
 واسرعت الى منزل الوكيل فوجدت فيه جمعا غفيرا  
 جالسا في فناء المنزل ساكتين كان على رؤسهم الطير  
 ينتظرين خروج الطبيب من غرفة الليل ليستفهموا

مدخلت على العليل فرأيت لا يتحرك والطبيب  
واقف امامه ينظر اليه بعين الشك وبوجه عابس  
وكان والدي جالسا بقرب العليل وعينه تذرف  
دمعا مدرارا اذ كان السبب في ما اصاب وكيله  
ومحرك العليل وفتح عينيه واجال بصره فوقمت  
عيناه على والدي ولما رأي دموعه قال  
لاتبك ياسيدي

وحانت منه التفاتة فراني فاشار لي بان ادنو منه  
وقبض على يدي وصمها الى يدي والدي واخذ يتكلم  
بكلمات منقطعة

احذر.. من . احمد .. اغا . فائق .. مسكين .. ابنة  
احمد .. اغا

وغاب الوكيل ثانية عن الصواب فافتكرنا انه مات  
فاجهشنا بالبكاء

فقال الطبيب - لقد اغمى عليه ولكن لا خوف  
عليه الان اذ قد محسن قليلا عما قبل وغلبوبته تعيده

فارجو كما ان تخرجنا الى الخارج لينسى له الراحة  
 فخرجت من غرفة الليل وحصدت منزلي وقد  
 اطمتنت قليلا عنه مما قاله الطبيب ولما وصلت وجدت  
 والدتي وفاطمة مشغولتي البال لتأخرى عن الحضور  
 فقالت فاطمة وعينها تقرأ ضميرى  
 لماذا تأخرت يا عزيزى فائق وابن كنت للآن لقد  
 أشغلت بالناس

قلت - كنت منزل وكيلنا الخواجا لطفي فقد بات  
 في خطر

قالت - ماذا جرى له  
 قلت - أصيب بمرض شديد كاد يمقده الحياه  
 قالت - مسكين ومتى كان ذلك  
 قلت - منذ اربع ساعات  
 قالت - لقد انشغل بالناس لتأخرتك فحسبها الف

حساب

قلت - اظنك شعرت بالوحده لعدم وجودي

بقربك

فاحمرت وحتا الفتاة وقالت

صدقت فلا لذة لي الا بقربك ولكن انت ماذا  
 يهملك تغيب كما شئت وانا اتعاب على جمر لا انتظار  
 قلت - هل تشكين في حيي يا فاطمة  
 قالت - حاشا لي أن انسب لك ذلك  
 قلت - اذن ما تقولينه من قبيل العتاب  
 قالت - صدقت فان الانتظار صعب على من  
 لا تقدر ان يصبر على بعاد من كرسيت حياتها له  
 فقالت والدي - أظن انك لا تتركان لغيرك وقتا  
 الكلام

مهلا يا فاطمة فكما تريدین ان تتحدثي بما يلذك  
 كذلك أريد ان اعرف ابن زوجي  
 قالت ذلك وهي تضحك فقلت  
 والدي عبد خلواجا لطفي وكيلنا  
 قالت - مسكين هذا الرجل فقد قال زوجي انه  
 من خيرة الرجال  
 قلت - نعم فانه اهل لكل مديح



فأرادت والدتي أن تستفهم مني عن سبب مرضه  
 فأوميت لها بالسكوت لوجود فاطمه فسكنت  
 وبعد أن تناولنا طعام العشاء قصت ابنة خالتي  
 غروتها بميت انا ووالدتي منفردين فقالت  
 احبرني كيف مرض وكيلنا  
 فشرحت لها ما حدث من تشبث رأي والدي  
 بزواجي بآبة احمد اعاو مقاومة الخوارج الطغى له حتى اضطر  
 والدي الى وصمه بالخيانة  
 فقالت - كن مطمئنا يا ولدي فلا يكون الا ما نرغب  
 وبينما نحن في الحديث اذ دخل علينا والدي وعليه  
 لوائح الكدر الشديد فسألته والدتي عن حالة وكيلنا فقال  
 تركته احسن مما كان وقت الغروب ولكنه  
 لا يزال في خطر فاسأله الله ان يمافيه  
 قال ذلك وقام فخلع ماعليه وقصد فراشه وقصدت  
 انا ايضا عروفتي وكانت ملاصقة لغرفة والدي ولا يفصل  
 بينهما غير الباب فوضعت اذني علي ثقب القفل واذا لم

اسمع شيئاً تأكد لي انهما نأما  
 فتكدرت وكنت اظن ان والدتي تخاطبه بشأني  
 اذا اختليا ولكن خاب ما كنت اؤمله  
 واخذت افكر في ماذا يصير لي اذا ألزمني والدي  
 بالاقتران بابنة احمد اغا ومادا يكون جزائي اذا رفضت  
 الاقتران بها  
 كيف تكون حالة ابنة خاتي فاطمه اذا رأته  
 اضم الى صدري ابنة ذلك الرجل العاني لاشك انها  
 تقول يا خائن  
 ماذا يصير بها اذا اقترنت بتلك وتركها لاشك  
 انها تموت حزناً كون انا الذي قتلتها  
 فقلت — كلا لا اقترن بخلافها  
 ولكن ماذا يفعل بي والدي اذا قلت ما رضى  
 خلاف فاطمة زوجة لي  
 الله يعلم ماذا يفعل بي ... هل يرحمني لاني ولده  
 ... هل يشفق على لاني وحيده  
 مازالت الافكار تلطمى كما تلطم الامواج الصخور

وانا لا اعرف لنفسي مخرجا منها ولا اعرف كيف اخرج  
من الحالة التي انا فيها مع والدي حتى كدت أياأس لولا  
ان فتح باب غرفتي فجأة ودخل علي رحل بلحية بيضاء  
ووجهه يسطع نوراً وله هيبة ووقار عظيمين

وكان لا يسا ثيابا بيضاء كالثلج حتى ظننته لاول  
وهلة روحا لولا ان مسك يدي وقال لي بصوت يشابه  
الاوراح

لا تقنط ولا تيأس يا ولدي من رحمة ربك وكن  
مبوراً على الشدايد واحتمل الاهوال ما قدرت فستكون  
يوماً مامار جلا عظيماً تنفع وطبك وأمتك فايالك ن تيأس  
وترجي بنفسك في الهلاك

فقات - كيف أقوى على احتمال ظم والدي الذي  
عزم على اجباري على الاقتراح بمن لا يميل قاي اليها وكيف  
اقدر ان اصبر على فراق من احب

قال - « يا نعمة » وانا ايضا ارغب بان لا تقترن  
بابنة احمد اغا فترك منزلك بل دمشق باسرها اذا حتم  
عليك الزواج وسافر حتى يعود والدك الى نفسه

قلت - والى اين اسافر ياسيدي  
قال الله هو الذى يرشدك الى ذلك يا ولدى  
قال ذلك وتوارى وراء الباب واحتشني فاسرعت  
لارى اين ذهب ولكى لم اجد احداً  
لم يزر جفني الكرى تلك الليلة وبقيت اذكر  
كلام الهاتف حراً فاولا اعرف كيف دخل ذلك الروح  
وكيف خرج  
وبعد ساعة من اختفاء الهاتف سمعت والذي  
يطلب الابريق كى يتوضأ للصلاة  
فقممت وخرجت من غرفتي الى نافورة في وسط  
المنزل وصليت بعد ان توضيت  
وقد انبلج النهار واخذت في التقدم طلائع نوره  
المدهشة للإبصار وأخذت جيوش الظلام في الهروب  
وجيش النهار يفتخر عليها للونوب  
وقفت انظر الى السماء المرصعة بالكواكب كحجارة  
من ماس تسطع في القبة الفلكية ولسان حالها يسبح  
خالق البرية

ولكن ما لبث ان سطع الكوكب العظيم وفرش  
أشعته على الكون فقضي على الكواكب الصغيرة وأوقعها  
بعد العز والافتخار في حيره

صعدت الي أعلا المزل فسكباتني أشعة الشمس  
الذهبية فنظرت الى الحقول واذا بها كحلة سندسية  
يفضل أشعة الكوكب الاعظم

وبعد ان تمت نظري رجعت الى غرفتي لاغير  
ملابس النوم فسمعت لغطا في غرفة والدتي ماديت  
أذني الى مفتاح الباب فسمعت والدتي تقول لوالدي  
هذا لا يكون أبدا ولا أصادق على زواجه  
بأبنة أحمد أغا

فقال لها والدي - لابد من زواجه بها ولو عارض  
بذلك أهل الارض أجمعها حتى ولو اضطرنا الي  
الافتراق عن بعضنا

فاياك ومما رضى مرة أخرى وحذار من أن  
تضمي في فكره ان زواجه بأبنة أحمد أغا غير موافق  
فقلت - بل يلزمك أن ترجع عن عنادك لان فائق

## لايميل الابنة خالته

فلا أقبل زواجه بخلاف فاطمه ولو أدي ذلك  
 « الى طلاقى » منك أتريد أن يقتل ولدى وابنة خالته  
 نفسيهما وأكون انا القاتلة لهما بيدي  
 فاستشاط والدي غضبا وصاح بصوت مرعب  
 تكوئي طالقة بالثلاثة يام فائق اذا عارضتني مرة  
 اخري وان رفض فائق الزواج بانه احمد أعا فليس  
 له عندي الا الموت فهو خير دواء لمن كان مثله يمصو  
 والده

قال ذلك وخرج من الغرفة وهو يقول  
 انا داهب لاري وكيلى الخواحا لطفى  
 وكنت قد دخلت غرفتي قبل ان يخرج فلم ارني  
 وبدان خرج من الغره عاد اليها ثانيا وقال  
 لوالدتي

متى افاق فائق اخبريه ان لامناص له من الزواج  
 بابنة احمد اغا وحدرية من رفض ذلك وخوفيه من  
 غضبي ثم قولى له ان يذهب الى المحل للملاحظة العمل

يا كافي فاسدي للخروج وفارقي المنزل قبل رجوعي  
 يا كافي فاسدي للخروج وفارقي المنزل قبل رجوعي  
 يا كافي فاسدي للخروج وفارقي المنزل قبل رجوعي

فأخذت والدتي بالسكاء فدخلت عليها بعد ان  
 خرج والدي فوحدتها بحاله يرثي لها من الحزن فبكيت  
 فالتفتت الي اذ لم تكن شمعت بدخولي عليها وقالت  
 انت هنا يا فائق لماذا تبكي يا ولدي

قلت — لقد سمعت مادار يذك وبين والدي  
 بسببي فلا تعارضيه في شيء لاني لا احب ان اكون  
 السبب في الفصل بينكما

قالت — ومادا عزمتم ان تفعل يا ولدي العزيز  
 قلت — سألقى اتكالي على المولى فهو القادر على  
 ان يهديني الي ما فيه الخير واذا سألك عن مسألة الزواج  
 فاخبريه اني قبلت ورضخت لامره

ثم مسحت دموعي وقلت  
 نعم يلزمني اتمام ارادة والدي لاني متأكدانه  
 لا يريد لي الا الخير واتعشم يا والدتي الحسنونه بان

لا تخبري فاطمة بشيء حتى يتم ما يرغبه الذي  
وبما انه طلب منك أن تأمريني بالله ليجر الى الحل  
فطبقا لارادته أنا ذاهب

وتقدمت وقبلت يديها وخرجت حتى صرت  
خارج المنزل فتغنست العمعاء كاني خرجت من الجحيم  
الى النعيم

وبينما أنا سافر الى الحل خطر على بالي الهف  
الذي زارني ليلا وكنت قد رسمت صورته في مخيلتي  
فن هو هذا ياترى ابشرا أم روح وفطنت انه  
امسك يدي فقلت كلا هو بشر مثلنا

ثم عاد اليّ الشك ادلما كلمني كان صوته يشابه  
الارواح

وكنت اقول ربما كنت احلم وتخيل لي اني  
أخاطب روحا ولكنه لمس يدي فاذا كنت اخاطب  
بشرا

وما زلت في هواجسي حتى وصات الحل فوجدت  
العمال فتحوه وكل منهم يدير عمله



وكان الشاب الياس بن وكيلنا الخوaja الطفي جالسا  
 بقرب الباب والكتابة على وجهه ظاهرة  
 فوقف اذ رأي وحياتي فسألته عن صحة والده  
 فقال انه بقي غثا عن الصواب حتى بزوغ الفجر ففتح  
 عينيه وجلس في فراشه ودعاني اليه وأمرني بأن أذهب  
 الى المحل وأناظر العمل حتي يشفي من مرضه  
 ووقفت داخل عليا والدك وانشرح صدره اذ رأي  
 والدي قادرا على الخلوس والتكلم وجلس بجانبه  
 وكى والدي اذ رأي والدك حاله بجانبه ولا أعلم  
 السبب لذلك فسأله والدك عن السبب فلم يجب بل قال  
 مغيرا الحديث

لقد أمرت ولدي الياس أن يكون بدلي في المحل  
 حتي اشفي فصادق والدك وأمرني بأن أذهب الى المحل  
 وقد حضر الطبيب ياسيدي عند بزوغ الشمس  
 فاخرجنا من الغرفة وفحص والدي ووصف له الدواء  
 وخرج

فاحقت أنا ووالدك بالطبيب وسألناه عن صحة

والدى فأجاب انه أحسن قليلا من قبل  
ولكن يجب مداراته لئلا يحدث ما يكدر خاطره  
فيعود الى أردأ من حالته الأولى  
وينما انا والياس في الكلام واذا بيد وضعت على  
كتفي فالتفت فرأيت احمد اغا يتسم  
فشعرت بنفور منه لأول وهلة ولكني كظمت  
غيظي وسألني عن والدي وعن صحة وكيلنا الخواجا الطفي  
فأجبتة انه لا يزال مريضا وان والدي عنده  
وأخذنا احمد اغا يحادثني ولكي كنت اقابل كلامه  
بالاحتقار فلحظ ذلك وسألني عن سبب كدرى  
فقلت مموها ان السبب مرض وكيلنا  
قال - ولماذا تتكدر ووكيلكم مسيحي ولا هو ذو  
قراءة انكم فازداد استيائي منه ولو لم يكن غنيا لما اعتبرته  
فقلت له ألكونه مسيحيا اولا قرابة بيننا وبينه يحط  
من قدره فأعلم ان له الفضل علي اذ قد رباني منذ  
كنت طفلا  
قال - يظهر انك تميل اليه كثيرا حتى انك مدحته

وجاوبني بكلام لا يليق ممن سيكون نسيبي  
قلت - هو الانسان الوحيد الذي افضله بعد والدي  
ولا احب ان اسمع المذمة فيه  
واحسب كل من يتكلم عنه بخلاف الطيب عدواً  
فارجوك يا غا ان لا تذمه أُمّاي  
وضحك من كلامي، قال  
هل تحبني يا فائق كما تحب وكياءكم اخوا احاطني  
قلت نعم اني احبك واعتزك ولكم لست عندي  
بمنزلة اخوا احاطني فتكدر من كلامي ولكنه كظم  
غيطه وقال

هل اخبرك والدك بما اتفقت انا واياه عليه  
قلت - كلا لم يخبرني بشيء له علاقة بك  
قال - ألم يحرك فانك ستزوح ابنتي بعد يومين  
وتصبح لسبي  
قلت - ارجوك ان لا تمزح ياسيدي فن اكون انا حتى  
اصبح لسب احمد اغا شاهيندر تجار دمشق  
وهل عائلة شريفة النسب عالية الحسب كعائلتكم

قلت - كلا ولكنى اقول لك انها مهما تكون جميلة  
لا اراغب ان اتزوج بها ولو اغضب ذلك والدى وفقدت  
حياتي

واعلم انه اذا تم عقد الزواج رغماً عنى اقتلها ليلة  
الزفاف واقتل نفسي بعدها  
فضحك ضحكا عالياً وقال

ان جهل الشباب آخذ حده معك وقد اتفقت  
انا ووالدك على الزواج وانا متأكد انك اذا رأيت ابنتي  
فعوضاً عن ان تقتلها تضمها الى صدرك  
وسأعاقبك انا أيضاً ليلة كتب الكتاب واذكرك

بما قلته قال ذلك صاحكا وخرج  
وكان الياقوت ابن وكيلنا الخواجا لطفي حاضراً  
وسمع مادار بيني وبين احمد اغا  
فلما خرج اقترب منى وسألتنى اذا كنت خطبت  
ابنة احمد اغا

قلت - كلا ولكنه يرغب تزويجي بها رغماً عني  
قال - وهل لوالدك رغبة في زواجك بها

قلت - نعم وقد عرض علي ذلك  
قال - وانت تقول ان لا رغبة لك في الزواج بها  
قلت - قلت وأقول أن لا رغبة لي بمناسبة احمد  
اغما مطلقا ولو أدى ذلك الى هلاكى  
قال - وهل يعلم والدك بذلك  
قلت - نعم وقد أخبرته أنى لا ارجب ان المناسب  
هذا الرجل ولكنه يرعب اجباري على الاقتران بها  
فنظر الي الياس وقال  
مسكين انت ياسيدي  
قلت - ولماذا يا الياس  
قال - لقد أوشكت أن تقع بيد هذه الافعى التي  
في لين كلامها انعط احذر من هذا الرجل ياسيدي  
ولكن ...

وسكت الياس فجأة فقلت له  
اكل حديثك ياعزيزي  
فقال - هذا كلما اعرفه  
قلت - بحق الصداقة يا الياس لا تخف عنى شيئاً

قال - اعلم ياسيدي ان احمد اغا يرغب مناسبتك  
 لاجبابك بل طمعاً في مالك فهو يرغب ان يستولى عليه  
 قلت - كيف يقدر يستولى على مالنا ونحن  
 نحافظ عليه

قال وهو يصحك - اعلم ياعزيزي فائق ان احمد  
 اغا رحل يحب المال ويحلم به في نومه ولكنه لا يجب  
 أن يكون احد اغنى منه  
 وعلاوة على ذلك فانه يكره والدك لانه يزاحمه  
 في تجارته وهو يظهر له الصداقة والوداد حتى يسلب  
 اموالكم

واري الآن انه اقترب من نوال مرغوبه اذ  
 باطاعة والدك له واجابته على طلبه ينال ما كان يحلم به  
 قلت - هل هذا اكيد

قال - نعم فبذلت سن الرشاد وهو يتودد ويترب  
 الى والدك وبمد خمسة شهور اجتمعاً في منزلكم فأخبره  
 والدك بما حزنه من العلوم وانه اى والدك مستعد لان  
 يسلمك عموم اشغاله في آخر هذا العام

فأشار عليه أحمد أن يزوجه بابنته وبقي يلح عليه  
ووالدك يماهل حتى نجح أحمد أنما أخيراً  
قلت .. كلف نفدت حيلته على والدي

قال .. لقد أخبر والدك أنه يريد أن يتنازل عن كل  
ممتلكاته وعقاراته إلى ابنته خوفاً من أن تحتطفه يد  
المنور ومارق هذه الدنيا فيتدخل أولاد عمه وذوو  
قراومه في الميراث ويحرمون ابنته منه فوافقه والدك على  
رأيه فسأل والدك إذا كان لا يزال راغباً في مناسبتها  
فأجابته أنه غير مستعد لمعدات الرواح فقال أحمد أنما  
لوالدك

إذا كنت ترغب زواج ابنتك بابنتي بعد خمسة  
عشر يوماً فأنا مستعد لأن أحررها قبل كتب الكتاب  
وصية بكل ما أملاكه فتكون الوارثة الوحيدة بعد وفاتي  
فهال وجه والدك فرحاً طمعاً في مال أحمد أنما  
فقال له

هل حقيقة تفعل ذلك

أجاب - نعم ثم أسلم ولدك ادارة عموم اشغالى ثاني يوم  
كتب الكتاب

ثم عرض على والدك اذا كان يرغب ان يضم  
اشغالكم الى اشغاله بحيث يكون المحلان محلا واحدا  
ويكتب شروط اشتراك بينهما وتكون انت المدير للعمل  
فانطلقت على والدك حينئذ وقبل بما عرضه عليه احمد اغا  
ولم يعلم ما وراء ذلك من المقاصد فعمينا لكتب الكتاب يوم  
الجمعه الآتي

قلت - وما الخوف يا عزيزي الياس اذا كان  
احمد اغا قبل ان يتنازل عن عموم ممتلكاته الى ابنته  
او يسلمني امواله لادارتها معرفتي  
فضحك الياس وقال

الخوف من ان يموت ولا سمح الله والدك ثاني  
يوم زفافك ثم تحقق انت به بعد اسبوع فيضع وقتذاك  
احمد اغا يده على جميع اموالكم بدون منازع  
وما كاد الياس أفندي يتم هذه العبارة حتى انذرت  
وسرى الدم في عروقي بارداً وقلت له ولم افطن لمعنى كلامه



وكيف ذلك يا الياس ومن يعلم بالاعمار غير الله  
 فربما مات هو قبلنا فنستولى نحن على ممتلكاته  
 فابتسم وقال - لقد تقرر موتكما منذ اتفق والدك  
 معه وسيتم ذلك بعد زفافك  
 فأخذ العرق يتصبب من رأسي باردا وقلت له  
 هل يتجاسر على عمل مثل هذا  
 قال - لقد اخبرتك بما قرره احمد اغا وسينفذه  
 بعد زفافك بيوم

قلت - وكيف علمت ذلك ومن اطعك على  
 ما عزم عليه

قال لا اقدر ان ابوح باسمه ولا تطمع باكثر من  
 ذلك . وكفى اني اطعك على خبث سريره ونيتة  
 فاصحك بان لا تقبل بزواج انتته ولو غضب والدك  
 ولو لم يمرض والدي لما تم الزواج بل كان يقاوم  
 والدك و احمد اغا حتي يفسد اتفاقهما

وما كاد الياس يتم كلامه حتى خطر على نالي مادار  
 بين والدي ووكيله لعني افندي من الحديث

الذي ادى الى مرضه فاخبرت الياس بذلك فتأثر مما  
حصل لوالده وقال

هل هذه مكافأة والذي الذي خدمكم مدة حياته  
بأمانة لماذا يهينه لماذا يقول له ياخائن مع انه مخلص  
وعجب له حتي كان السبب في مرضه

قال ذلك وتناثر الدمع من عينيه واخذ في  
البكاء ثم قال لقد لصحتك ياعزيزي فائق فاحذر من  
ان تطيع والدك لئلا تذهب فريسة أحمد اغا الوحش  
المعترس

ثم ابتعد عني وأخذ يمشي ذهابا وايابا تقرب الباب  
وهو في عاية الكدر

فقت من مكاني واقترت منه راغبا في أن اعود  
الى الحديث معه فاعرف منه الذي اعلمه بقصد ونية  
أحمد اغا ولكنني قل ان افوه بكلمة قال اتركى ياعزيزي  
فائق الآن لاني في كدر لما حصل الى والذي بسبب  
اتهم والدك له بالخيانة وعدم الوفاء

ثم ابتعد عني فرجعت الى مكاني وجلست على احد

السكراسي مضعض الحواس شارد الفكر حتى بعد الظهر  
فدخل علي والدي فقامت وقبات يده ولحظت انه  
متكدر وسألته عن صحة وكيلنا فقال  
لا يزال على حاله مريضاً وقد قررت الاطباء ان حياته  
في خطر

ثم طلب والدي من أحد الخدم ان يأتيه بطعام الغداء  
وطلب من الياس ان يتناول معنا الطعام ولكنه رفض  
فلحط والدي كدره وتكدر لاحله وقام اليه وما زال معه  
حتى أنى به وأحلسه بجاني وصار يطمئه وأجبره بان  
يتناول الطعام معنا  
ونقي والدي في المحل ساعة ثم قال لنا انه قاصد منزل وكيلنا  
لطني افندي ورعنا يمتي هناك الى الساعة السادسة والسابعة  
عربية مساء

وأمرنا عند الغروب ان نقفل المحل فيأخذ الياس  
مغايجه ويسير كل منا الى منزله  
ولما خرج والدي اردت أن احادث الياس لاذهب  
ماقبله من الهموم واكنه قال

لرجوك يا فائق ان تتركني . كدري لا يقدر ولا بوصف  
لما اصاب والدي

فتركته ودخلت غرفة المكتب وسبحت في بحر من  
الافكار تلطمني اواجه الزاخره فأتت نى الى ذكرى  
ماضى حياتى منذ كنت طفلاً ثم وقوعى بحب ابنة خاتى  
فاطمه حب الطفولايه وما فضينا ونحن بذلك السن من  
أوقات السرور ثم تزايد الحب بيننا الى عمام ثم ما حصل  
بينى وبين والدي بشأن زواجى بابنة أحمد اغا  
غرقت في بحر من المواجس ولكي لم أقدر على  
الخروج منه فطلت المعونة فاني النجدة فانتبهت لحادم  
اقترب مني ولم أشعر به وكلمي ولم أسمع غير صدي  
صونه الذي رن في أذني فأيقظني مما كنت فيه فقلت له  
ماذا تريد يا سليمان اجاب

لقد اتى الميعاد لافعال المحل

فقمتم وودعت الياس وخرحت قاصدا منزلنا  
وقبل ان ادخل من الباب شعرت بيد وضعت على  
كتفي وقائل يقول

مالي اراك ياعزيزي فائق بهذه الحالة .  
 فالتفت فرأيت احمد احد سكان حارتنا وسأكننا  
 بجوارنا ينظر الي ويبتسم فاجبته  
 لاشيء ياعزيزى احمد  
 قال - انى اراك متكدر او امك مريض فاخبرنى  
 الحقيقة

قلت - لاشيء ياعزيزى  
 ولكى لم افدر ان امسك دموعي  
 فامسكنى من يدى وقال  
 ما بالاك حزين  
 واخذ يلح علي لاخبره عن سبب بكائي فبعد  
 الجهد اخبرته عن كلما حدث بيبي وبيى والدى  
 مسكت قليلا وقال  
 وماذا عزمتم ان تفعل الآن  
 قلت - لقد صممت النية على ان ارفض الزواج بابنة  
 احمد اغا ولو الزممني الحالة الى قتل نفسي بيدي  
 قال - لا موجب لذلك فهل تطيعني وهل تقبل مشورتي

فقطص مما انت فيه

قلت - وما هو اقتراحك ايها الصديق

قال - لما توفت والدتي مثل ثلاث شهور تركت لي  
مهرانا عشرين كيسا ذهبيا اى مئة دينار فاذا كنت تريد  
الخلاص فعليك بالهروب من وجه ابيك الى السلاط  
الاجنبية فتبقى فيها شهرا او شهرين حتى يرجع والدك  
عن عناده ويترك مسألة زواجك بانه احمد اغا فتظهر  
نفسك يد-ترضيك فتعود اليه وتزوج بمن تحب

فان كنت تقبل ما اقتراحي فانا مستعد لان ارافقك  
فتسافر الليلة قلما يعلم والدك بتصميمك على الهروب  
لا تفكر في القود ان لم يكن معك ما معي  
يكفينا حتي نسترضيك والدك وتعود اليه وعد ذلك  
اذا اردت وكامثي بما تشاء والا فاسامحك بكما اكون  
قد صرفته عليك

قلت - اين المئة دينار

فاخرج احمد عدة اكياس ملاءى بالذهب ثم قال  
ماقولك في اقتراحي

واذ كنت على وشك ان أرفض طلبه واقتراحه  
 خطر على بالي الهاتف الذي اتاني الدلة الماضية ولا  
 اعلم كيف ولا من اين اتى ثم تصور لي انه واقف امامي  
 يكلمني ويقول لي

طمه ولا تخالعه لانك ستنال خيراً ذا هربت  
 من وجه ابيك

ثم زال ما تصوره ونظرت الى أحمد الذي كان واقفاً  
 بجانبني بنظر الى متتظراً جوابي فقلت له

لقد قلت وسلمت امرى اليك بعد الله  
 فنهّل وجه احمد سرورا وقال

مادمت صممت النية على الفرار معي فادخل منزلك  
 دون ان تعلم احداً بما صممنا عليه

وفي الساعة الخامسة عريية مساء تصع ما مكنك  
 حمله من الملبوس داخل صرة وتخرج من المنزل بعد ان  
 تقفل باب غرفتك دون ان يشعر بك احد فتجدني  
 بانتظارك عند الباب فسير الى الخان وناخذ فرسين  
 من جياذ الخيل أكون قد استأجرتهما في هذا المساء

ونخرج من دمشق دون ان يعلم بنا احد  
فأت - وابن تقصد اذا خرجنا من دمشق

قال - على الاغلب بيروت

نم ودعني بعد ان رقق علي بان لا اتأخر عن الميعاد  
الذي اتفقنا عليه

فدخلت المنزل فوجدت والدتي واقفة بفنائها  
فأسرعت الي واذا رأني متكدرأ ضمتني الى صدرها  
وكان قلبها قد دلها على اني سأفارقها هراقا لالقاء  
بعده فبكت وقالت

أراك متغيراً يا ولدي ألا زات متكدرأ ن والدك  
فاجبتها كلا يا والدتي الحسونة فقد راجعت نفسي  
ووجدت ان الحق في جانب والدي فصمتت ان  
لا اخالف له امرا وان اقبل بزواجي بانه أحمد عا  
ولكي سأكون متكدرأ لاجل اسه حالي فاطمه  
ابنة خالتي التي تاتي نفسها في التهلكة لاجلي فلا  
أرتاح ولا اكون مسروراً الا اذا وجدت لها زوجا  
تقبل به



وكانها لم تصدق ما قلته لنا كدها عظم هيامي  
 فاطمة فازدادت بكاء ولكنها قالت وهي تشرق بدموعها  
 عسى أن يكون ما قلته حقا فلا تسأد والدك يا ولدي  
 المحبوب لئلا تجلب علينا الكدر

واكنتم الخبر يا ولدي لئلا تعلم فاطمة بقسوة ذلك  
 الزواج بانه احمد اغا فيقضي عليها من الحزن  
 وقد عزمتم ان ارسلها الى زيارة عمها في منزله  
 لانه طلبها مرارا

فصادقت على اقتراح والدتي واخبرتها ان والدي  
 لا يأتي المنزل إلا في الساعة السابعة عريه مساء  
 قالت - وأين هو الآن  
 قالت - بمنزل وكيلنا اعلى  
 قالت - وكيف حال وكيلنا  
 قالت - لا يزال مريضا

وطلبت ان يجهزوا لنا الطعام وبعد برهة مدت  
 المائدة فدحت ابنة خالتي فاطمة وتناولوا طعام العشاء  
 وتمادنا حتي الساعة الثالثة عريه مساء فطلبت من

والدتي ان تأذن لي بالذهاب الى فراشي مدعيًا ناني  
تعب وفي احتياج الى الراحة فاذنت لي فرحونها ان  
لا تيقظني باكرًا

ثم قصدت غرفتي واطفأت القنديل وفتحت خزانة  
ملايسي وأخرجت منها سترتين ولقمتها بصرة وانتظرت  
حتى أتت الساعة الخامسة ونام كل من في المنزل ففتحت  
باب غرفتي وخرجت وافتلته وأخذت مفتاحه معي  
وخرجت من المنزل واغلقت بابه دون ان شعري احد  
وما كدت اخطو حتى اقترب مني أحمد الذي كان  
منزويًا بقرب الباب وامسك يدي وسرنا ساكتين الى  
الى الخان وأمرني ان انتظره على بابه

ثم رحل وبعد برهة خرج يقود فرسين وكبائها  
وأخذ مني الصرة ووضعها في الحرج تحتها وسرنا في  
ذلك الليل الدامس حتى خرجنا من دمشق وسرنا  
بين البساين فقال لي أحمد

علينا بان نسرع في سيرنا لئلا يلحق بنا من يكون  
قد لحظ هربنا فيقبض علينا

فهمزنا الجوادين فسارابنا يخططان الطريق فوصلنا  
عند بزوع الشمس الى احدى القرى فأشار علي بان  
ندخلها لراحة انفسنا والحوادين  
فقالنا اهالي القرية بترحاب واكرمونا وقدموا  
عليها للحوادين فدخلنا منزلا فيها  
ومما اصابنا من مشقة السفر غفونا حتى ايقظنا  
صاحب المنزل الساعة التاسعة عربة وقدم لنا الطعام  
فقمنا وامتطينا الجوادين وأراد احمد ان يدفع  
نمن الاكل لصاحب المنزل فأبى فشكرناه وسار بنا  
الجوادان بقية ذلك النهار وطول تلك الليلة  
وما اشرف صباح اليوم الثانى الا ونحن في  
بيروت فتصدنا خانا في ساحة البرح وسلمنا الحوادين  
لصاحبه واحذنا بهما وصلا وسرنا الى خان بجانب البحر  
وأخذنا غرفة فيه وبعد ان استرحنا قليلا قال احمد  
ابق ههنا آتيك بالطعام  
ثم قصد السوق وبعد برهة عاد يحمل شيئا كثير  
من جبن ولحم وغيره ثم فاكمه ايضا

وبعد ان تناولنا الطعام قال لي

يجب ان نسافر حالا

قلت - لماذا وما سبب العجلة

قال - لقد اقموا اثرنا

قلت - ومن هم

قال - لما حرحت لابتياح المأكول نظرت اثنين

من الشرطه مع تابعكم محي الدين قاصدين الضابطه فاصابني

دعب شديد وتأكدت انهم لخموا بنا والسكى اردت ان

اؤكد الامر فارسلت احمد اولاد الازقة وراءهم ليعلم

سبب حضورهم بعد ان اتقده درهمين واعدته ان

اتقده مثلها اذا اتاني بالحبر الا كيد

فعدالي بعد برهة واخبرني بانها انيا من دمشق

في اثر احد اولاد الاغنياء كان قد فر من والده

فهمت من كلامه اننا المطلوبان

قلت - ربما يفتشان على غيرنا

قال - كلا لان تابعكم محي الدين مع الشرطين

قلت - والى اين ومتى نسافر

قال - هيا الى النافذه وانظر

نم اخذني من يدي ودنونا من النافذه فاشار لي  
بيده الى مركب شراعي على بعد في البحر وقال

نسافر في هذا المركب

قلت - ومتى يسافر

قال - بعد ساعتين

قلت - واين يقصد المركب

قال - يقصد الاستانه فيموبطرا بلس واسكنه درونه  
وازمير فالمدينة التي توافقنا ننزل فيها

قلت - در ما تريد فقد قبلت ان اسافر معك

قال - انتظرنى ريثما آتى واحد من ان تخرج لئلا  
يقبض عليك

ثم تركني وخرج وعاد الى بعد نصف ساعه وحمل

الخروج على كتفه وقال اتعني

فتبعته حتى وصلنا شاطئ البحر فوحدت قاربا

بانظارا فركبناه وسار بنا الى المركب فصعدنا اليه

واخذنا عرفة فيه داخلها فراشين  
 وأقع بها المركب يشق عباب البحر ورسي على عدة  
 موانئ الكى لئلا يكن من المظر والتفرج عليهم لما اصابني  
 من الدوار  
 وفي صباح اليوم الثاني عشر بينما كنت في فراشي  
 نائما ايقظني حمد وقال  
 قم وصرح على ضواحي الاستانة فلا يلبث بعد ساعة  
 او ساعتين ان يربط المركب عليها  
 فقم من فراشي وخرجت من الغرفة وصعدت  
 الى سطح المركب فاذا به سائر بين شاطئين من  
 الغياض الزاهرة والاشجار الباسقة والابنية الشاهقة  
 والقلاع الحصينة والطواحي المتينة  
 فتقدم مي احمد وقال  
 نحن الان في مضيق الدردنيل يا صديقي  
 فانشرح صدرى لتلك المناظر البديعة التي تأخذ  
 بمجامع القلوب بعد قليل رسي للمركب على بعد قليل  
 من الشاطئ واحتاطت بالمركب القوارب فنزلنا

باحدها الى البر وبعد تفتيش ثيابنا في الكمر ك دخلنا  
المدينة فاسهرت من جمال ابنيها الخشبية وكثرة الازدحام  
في شوارعها

فسرنا حتى استدللنا على « خان الشوام » فقابلنا  
صاحبه وطلب أحمد منه ان يؤجر لنا غرفة مفروشة  
لنزلنا فيها

فدخلنا غرفة جميلة تطل على الشارع وخرج  
وكنت قد شعرت بالجوع فاخبرت احمد بذلك فتركني  
وقصد السوق وابتاع ما قدر على حمله من الماء كول ثم عاد الي  
وبعد ان فرغنا من الاكل جالسنا نتحدث فقلت  
لاحمد ها نحن الآن قد اتعدنا عن اهلنا فكيف نسحب  
معاشنا

قال - لاتهم بذلك فائمة دينار لاتزال مبي ولم  
نصرف منها ولا درهما فهي تكفيناسنة ونصفا وفي خلال  
وسده المدة يعلم والدك بوحودك هنا فيأتي اليك  
هليسترضيك ويأخذك معه الى دمشق

قلت - وان لم يصل خبر وجودي هنا اليه أو اذا  
 فرضنا وعلم بأن في الاستانة ونظرا لعدم اطاعتي له  
 وهروبي منه اهملي فاذا يصير لنا  
 قال - لا تتصور ذلك وأنا أعلم منك بحب الوالدين  
 لا ولادم لاسيا وانت وحيدها فكيف يتركها  
 وتأكد ان والدك يدفع كلما يملكه لمن يردك اليه  
 أو يعلمه بحلي وجودك

واذا فرضنا ان والدك اهملك كما تقول فاننا الذي  
 كنت السبب في عصيانك له اكون ملزوما بان اقدم  
 لك كلما تمنحاه فلا تهتم بشئ أيها الصديق  
 قلت - لقد القيت اتكالي عليك بعد الله منذ خروجي  
 من دمشق ولا ارال كذلك الآن  
 والكنى خائف من ان تفرغ النقود التي لك فلا  
 تعرف كيف نسحب معاشنا

فالاودق ان نفتح محلا بما مملك من النقود  
 وتحصل على معاشنا وبكتفي شر الحاجة وربما ساعدتنا  
 الاقدار فنتجح ونصير من كبار التجار



قال - رأيك موافق فسأبحث عن محل فيها الآن  
 واستبدل ملابسك بأخرى جديدة لأفركك على المدينة  
 فأبدلت ملابسني وخرجنا نتفرج على عماراتها  
 الجميلة منتقلين من شارع الي آخر حتى وقت الغروب  
 فرجعنا الى الخان ودخلنا غرفتنا ثم بعد ان تناولنا الطعام  
 قام كل الى فراشه لما قاسيناه من متاعب السفر  
 ولما استيقظنا في الصباح خرج احمد لابتاع طعاما  
 وبقيت بي انتظاره

وصارت الساعة ستة ولم يأت فانشغل فكري  
 وظننت انه تقابل مع صديق له اذ كان قد اخبرني انه  
 أتى الاستانة سرا رآ مع والده وله جملة اصحاب فيها  
 فقامت الى المائدة وأكلت ما تبقى من طعام الامس  
 وجالست بجانب النافذة انتظر رجوع احمد بهر وخ صبر  
 وأتى المساء ولم يأت احمد فقامت الى صاحب الخان  
 وسألته اذا كان رآه أو يعرف أين هو

فطمشي قائلا

لربما اجتمع بأحد أصدقائه فحجزه عنده ليلتناول

معه طعام العشاء

فذهبت الى غرفتي وانا مشغول التفكير ونمت فيها

الى الصباح ولم يأت احمد

فذهبت مرة أخرى الى صاحب الخان وسألته

عن احمد فلم يجبي بالخبر الاكيد

فرجعت الى غرفتي وصعد الدم الى رأسي وظننت

انه هرب مني لاني صرت حملاً ثقيلاً عليه

وتكدرت كدر أشديد لاني غريب وخال من النقود

ثم التفت فوجدت صرة ملابس احمد على حالها

في الغرفة فطمت انه غاب لسبب اضغاره على البقاء

خارج الخان

وأني المساء فلم يحضر فقصدت صاحب الخان

مرة ثالثة واخبرته بعدم حضور احمد وطلبت منه أن

يهديني الى طريقة للبحث عنه

فسكت صاحب الخان ولم يجبني فسال دمي

وبكيت فرثي لحالي وقال

هل احمد اخوك

قلت - نعم  
قال - لأصدق فكيف يكون الذئب اخ لجل  
الوديع

فلم افهم معنى كلامه فقال  
ما اسمك

قلت - طائق

قال - اعلم يا طائق انه منذ نزلنا عندي بالخان اشتبهت  
بمرافقتك لمن تدعي انه أخوك

ولما كان يجب علي أن أعلم كل شيء واعرف كل  
انسان ينزل بالخان بثت العيون والارصاد عليكما  
منذ دخولكما لا أعلم من انما ولماذا أتيتها الاستانة

وقد سمعت مادار بينكما من الحديث وعلمت  
انك ابن أحد اعيان دمشق ولست شقيق احمد وانك  
هربت من دمشق باغرائه بسبب ما حصل من النفور  
بينك وبين والدك

ثم سمعت انك عرضت عليه أن تشتغلا بما معكما  
من القدية فرفض أولا ولكن لما رآك مصمما على

رأيتك اوعدك كذبا

ولما خرجتما من الخان منذ يومين ارسلت وراءكما  
احد اتباعي ورجع بعد عودكما فاخبرني بان صاحبك  
يعرف الاستانة كما لو كان مولودا بها

ولما خرج صاحبك امس سألته عن وجهته  
فاجابني انه قاصد السوق لمشتري ما يلزم ولكنه لم يرجع  
ولو كنت اعلم انه سيتركك ويفر منك لكنت  
ارسلت احد اتباعي في اثره

ولما اعلمتني بغيابه امس ارسلت احد اتباعي  
فبحث عنه في عموم الاستانة فلم يقف له اثر  
فانا الآن مطامع على اسرارك فاخبرني من انت  
ولما ذا تركت والديك وهربت مع من تدعوه أحاك  
وهل المقدمة الموحودة معكما هي لك شخصيا ام لكما  
سوية وهل هي الآن معك ام مع احمد

ولما تأكدت ان صاحب الخان مطلع على اسراري  
انذعرت ووقفت على رجله وأخذت اقبلهما وأبكي  
فرفعني وقال لي

لا بأس لا تبك فأخبرني من أنت وما حدث لك  
 فأعينك على مصابك واساعدك ما قدرت  
 فأخبرته بجميع ما حصل لي مع والدي وكيف أنني  
 هربت منه لأتخلص من الزواج بآبنة احمد اغا  
 فسكن روعي وقال  
 لا تحب ولا تهتم بشيء فانا مستعد لان أقدم لك  
 احتياجا لك ثم دعا خادمه وامره بأن يأتي بالطعام فلي  
 الخادم الامر وخرج  
 وذهبت الى غرفتي وبعد رهة أتى الخادم يحمل  
 طعاما فاحراً ووضعته امامي وخرج  
 فتناول حابيا من الطعام لاني كنت جائعا ثم  
 جلست افكر في حالتي متندما على خروجي من دمشق  
 واطاعني لاحمد الذي تركني - ساعة الضيق وفر  
 فكرت في الساعة التي كنت فيها في بيت والدي  
 محترما من حذمي مستهتراً من أهالي دمشق لما كان لوالدي  
 من المنزلة الرفيعة وما وصلت اليه حالتي الآن من  
 التعماسة والشقاء

وينما أنا كذلك دخل صاحب الخاف وابتسم  
لما وجدني اكلت من طعامه وجلس بجايي وقال لي  
وهو يضحك

مادمت صرت لي فلا تهتم فساجعلك أحسن  
انسان في الاستانه ولما تنام لا تقفل باب عرفتك  
فسأته عن السبب فقل  
سأتيك في الليل....

وقبل ان يترك لي مجالا للكلام تركني وخرج  
ولكني لم أعمل حسب كلامه بل أقفلت باب غرفتي  
ووضعت الخرح ومنضدة كانت بالعربة خلف الباب لاني  
ظننت في الرحل الحيانة ورأيت منه عين المدر رغما  
عن ابتساماته

وإني من الخوف أخذت اخص كل حائط  
في العرفة وأرضها لئلا يكون العرفة منفذ باب آخر  
وخفت لئلا يكسر الباب فأخذت ابحت في العرفة  
لعلني أقدر على الهروب من منفذ اذا عمد الى ذلك  
وكان بالعرفة نافذة تطل على الشارع فتفتحت درفتيها

ثم ذبل جفناي وأنا جاهل فاناني الماتف الذي زادني  
 في دمشق مرتين وهو يبتسم وقال  
 لا تحف يا فائق ولا تخش بأسا لانني سهران عليك  
 أحرصك حينما تكون  
 فبكيت وطلبت منه أن يرجعني الى والدي بدمشق

فاجابي

انك تطالب المستحيل فقد اتدبتك العناية لترفع  
 شأن دولتك من حضيض الجهل والشقاء الى أوج  
 السعادة فقاؤك في الاستانة فيه نفع لوطنك  
 فستصير عظيما بل أعظم رجل في دوله آل عثمان  
 بعد جلالة السلطان

ومعد فراقك سيأتي صاحب الخان ويقرع  
 الباب فلا تفتح له ولا تحمه فيتوعدك ويتهددك ثم  
 يتركك لئلا يستيقظ البارلون بالحال  
 وابق في غرفتك حتى بزوع الحجر فافتح السافذة  
 واقم من هنا الى الخارج واسرع في مسيرك حتى تبعد  
 عن الخان فالله بعد ذلك يأمرك الى ما تفعله

وقبل أن أعيد عليه سؤالاً اختفى قشعت عيني  
فوجدت نفسي في الغرفة بمفردي فقمْتُ إلى الباب  
فوجدته مغلق كما كان ثم سراج الغرفة يضيء  
وسمعت حينذاك وقع أقدام تقترب من الغرفة  
ثم رأيت الباب يهتز وصاحب الخان يقول  
افتح يا فائق

فلم أحبه فاستشاط غضباً وقال  
ستري ماذا أفعل بك غداً إن لم تفتح الباب ...  
أذيقك من المذاب ألوأنا  
وكنت أسمع تهديده ووعيده مدة نصف ساعة  
وأنا ساكت صامت لا أفوه بكلمة  
ولما لم يجد له فائدة من ذلك تركني وهو يحرق  
أسنانه من العيظ

وما كاد الخائقي « صاحب الخان » يعتمد عن  
الغرفة حتى ساورتني الأفكار  
فأخذت أفكر في المهاتف الذي اتبعني من دمشق  
إلى الاستانة ومن هو وهل هو روح أم إنسان مثلي



وتطلعت الى الشارع لاقيس المسافة بين النافذة والشارع

فوجدت انه يمكنني الهروب منها بسهولة

فجلست على مقعد واخذت الافكار تهاجني...

لماذا تركني احمد... لماذا هرب... مني...

لماذا أصلى صاحب الخان على أسرارنا

وظننت ان لربما صاحب الخان لما علم بما معنا

من النقود ارسل في أثر احمد من قتله وسلب منه النقود

ولما خطر على مالي هذا الخطر انشعر جسمي

وصدمت على ان اذهب في الصباح الى الضابطه واعلمها

بغياب صديقي احمد ثم بما خطر على مالي من خيانة

صاحب الخان

ولكن خطري انه لربما يكون جميع اهالي الستانة

خونة فكون قد هربت من الدلب ووقعت بين مخالب

الاسد

واخيرا عولت على ان ابحث عن صابني في

الصباح واذا وجدته اطلب منه ان يرجعني الى دمشق

والا فاذهب الى شاطئ البحر والقي بنفسي فيه

واخذت اكلم نفسي

هل حقيقة ما قاله لي سأصير أعظم رجل في دولة  
آل عثمان بعد وفات جلاله السلطان... هل حقاً انه يحرسني  
من هو هذا الهاتف الذى يعلم بالغيب..... من

هو هذا حتى يتنبأ بالمستقبل

يقول لي ابي سأصير أعظم رجل..... في الاستانة  
... في دولة آل عثمان وليس عندى رغيف من  
الخبز اقات به ولا من اطاب معونته.. وممن اطلب  
المساعدة وانو الانسان خائون

فهل اثق باقوال الهاتف واتبع ما قاله لي أو أير  
حسب هوى الهمس وأتخلص مما انا فيه بان القى نفسي  
في البحر... ثم الخلاص من هذا العالم الشرير أودق  
واكس الهاتف قال لي ان وعودى سه مع شأن  
دولتى وفي... ياتى نفع لو طى اذن فلا أعيش لمة ي بل  
للوطن... وساحيا اذن

وعند نزوغ المجر سأقفز من البائدة واخرج لي  
الخارج وكما قال الهاتف الله ياهمي الى ما فيه الصواب

قاليه سلامت امورى

وبينا انا في تصوراتى سمعت نقرا على الباب  
فانتبهت لنفسي فسمعت الخنا تاتي يقول  
افتح الباب يا فائق وإلا اكسره وادخل عليك  
وأهينك لانيك سخرت بي وضحكت علي  
مقت في نفسي - ارجع فأعوذ بالله من شر هذا  
الفاسق ولما لم أجبه أخذ يحوط على الباب ليفتحه دون  
ان يسمع السامعون في الغرف المجاورة لي  
ثم تلطف قليلا في كلامه وقال  
افتح يا عزيزي فائق وأنا أقوم بوعدي معك  
واجعلك أحسن انسان في الأستانه  
ولما لم يفده ذلك ابتعد عن الغرفة وهو يتوعدني  
ويتهددني بكل شر  
وكنت مستعدا للهروب ووافقا بجانب النافذة حتى اذا  
كسر الباب انفذ الى الخارج قبل ان يتمكن من  
الدخول  
ولكن لما تأكدت انه ابتعد عن الغرفة أخذت

حرة الملابس ولبست ثيابي وبعد برهة سمعت  
 المؤذن يؤذن فتأكدت ان الفجر لاح وانه قد حان لي  
 ان اخرج من الخان واتخلص من شر صاحبه  
 ففتحت النافذة وطلت منها فرأيت الشارع مقفراً  
 ففرت الى الخارج واسرعت في مسيرى تقدم ثابت  
 لئلا يلحظ احد المارة ارتبائي فيظني لصاً  
 ولما ابتعدت عن الخان تنفست الصعداء وسرت  
 مع الداهيين الى المساجد للصلاة  
 فدخلت مسجداً عظيماً جميلاً وصليت فيه وطلبت  
 من الله ان يكون عونى ويلهمى الى ما فيه الخير  
 وبتيت في المسجد حتى اعتلت الشمس قبة الفلك  
 وغصت شوارع الاستانة بالداهيين الى اعم لهم فخرحت  
 اجول في الشوارع عساي أجدا احمد  
 وبقيت كذلك حتى الظمر فوجدت نيسي امام  
 ساحة كبيرة على جانبيها عدة محلات كبيرة لمبيع الرقيق  
 من جواري يبيض وسود وممالك وعبيد  
 ورأيت الناس مجتمعين في الساحة حول الدالين

الدين ينادون بالبيع لمن يشتري  
فتأكدت اني في سوق الرقيق فوقفت اتفرج  
وخطر وتشد على بالي فكر

وهو ان أسلم نفسي الى احد الدلائن واطلب  
منه ان يبيعي ويمطبي نصف الثمن فأخلص من الجوع  
وبقي معي نقود فأتمكن من أن أخرج والدي بوجودي  
هنا فيأتني ويخلصني مما انا فيه واكون قد حفظت نفسي  
من الغادرين الخائنين

وانا كذلك وادا بالهاتف واقف امامي وقال لي  
رايك في محله فلا تتوق

فاردت ان اكله فاخنتي عن عبي  
فصممت على بيع نفسي فتقدمت من احد  
الدلائن وطلبت منه ان يصنعني مع المالك للبيع واطلعتني  
على مرغوبي

فاجابني الى طلي بسرور وامسك بيدي وقال  
اذا سألك أحد عن وطنك فاخبره انك من بلاد  
الكرج ثم سارني حتى اوقفني امام قاعة كبيرة وعلى

بابها شيخ ذو هبة لابس ثيابا فاخرة على اطراف اكمامها  
وصدرها شرائط من الذهب وحوله الخدم والعبيد وقوف  
باحترام

فقال الدلال للشيخ بعد ان قبل ذيل ملابسه  
اني توقفت الي مرغوبكم

ثم قدمي الي الشيخ فقبل ذيل ملابسه كما فعل  
الدلال فظفر الي الشيخ طويلا وانا لا اقدر ان ارفع  
نظري اليه لما له من الهبة والحلال ثم قال الي احد  
العبيد الواقفين امامه

ادخله الي هذه الغرفة وافحصه

فتقدم مي وامسك بيدي وسار بي الي الغرفة التي  
أشار له الشيخ عنها واقبل بابها وأمرني ان انزع عني  
ثيابي فاندعرت وحزعت وترددت فلاحظ ذلك العبد  
وقال لا تخف فانا اعا للحريم انزع ثيابك لاني اريد  
ان افحصك لاري اذا كنت سليم الجسم  
فنزعت عي ملابسي فأخذ الاغا يفحصني ثم  
أمرني ان البس ملابسي وخرج بي الي حيث الشيخ واخبره

بأنني سليم الجسم  
ثم تكلمنا بلمعة لم افهمها وانتفت الى الشيخ وابقسم  
كانه يطمئني ويزيل ما بي من الجزع  
والنتفت الى الدلال وسأله عن ثمنى فأجابه  
عشرون كيسا خلاف اجرة الدلالة  
والنتفت الى الشيخ وامرني ان افف بجانبه فوقف  
وانا مكتف ثم امر الدلال بان يدعو اليه الصراف  
فذهب الدلال وبعد برهة رجع وبه حجة الصراف  
فامر الشيخ بان يدفع له عشرين كيسا مع اجرة الدلال  
وبعد برهة رجع الدلال ويده صرة صغيرة فتقدم  
وسلمني اياها وقال  
هذه ملابسك

ثم غمرني بطرف اعينه فتقدمت واستلمت الصرة  
وكانت ثقيله ولم اعرف ما فيها فوضعتها على مقعد خلفي  
ووقفت بجانب الشيخ  
واشترى الشيخ جملة ممالك وامر الصراف

بدمع منهم وكان أغلا ثمن دفعة ثلاثة كباس  
 وكان الشيخ يساوم الدلال في كل مملوك الا في  
 فلم يساومه فأندهشت وسألت نفسي عن السبب  
 ثم خطر على بالي انه لربما يكون الشيخ هو ذلك  
 الهاتف الذي ظهر لي مراراً  
 وأردت ان ارفع نظري اليه لانا كده ولكن غلبت  
 على هيئته

ولما اتم الشيخ عمله التفت الي وقال  
 ما اسمك  
 قلت - فائق  
 فابتسم لي وامرني أن اتبعه ثم سار امامي وأنا  
 ورائه وتقدم مني الاغا وقال  
 اعطني الصرة فأحملها لك  
 فسلمته اياها فآخذها وسلمها الى احد اتباعه الذين  
 كانوا سائرين في أثرنا  
 وبعد ان قطعنا مسافة وصلنا الى شاطئ البسفور  
 وكان قاربان جميلان ينتظران الشيخ



فنزّلنا في أحدهما وكان أجل من الآخر واجلسني  
 الشيخ عن يمينه وجلس الاغاعن يساره وسار بنا المارب  
 يشق البحر بسرعة البرق بعد ان رفع العلم العمانى  
 وبعد نصف ساعة رسي على الشاطئ بقرّب  
 درج من الرخام المرمر يؤدى الى باب سور عظيم يمتد  
 الى مسافة طويلة

فصعدنا على الدرج حتى وصلنا الى الباب فاذا به  
 يحرسه أربعة من العسكر الشاهاني شاهرين السلاح  
 فلما رأوا الشيخ قدسوا له التحية باحترام وتنحوا  
 عن الباب فدخلنا منه الى حديقة عناء واسعة كبيرة  
 تحتوي على ورود ورياحين ننتعش منها الافئدة  
 ومازلنا نسير في الحديقة حتى وصلنا الى قصر  
 جميل لم تر عبي أجمل من سائه ومن بديع زخرفته مبني  
 من حجر المرمر المنقوش بماء الذهب  
 ولما اقتربنا من الباب رأيت قبة من حجر المرمر  
 أيضا قائمة على أربعة قوائم من الرخام المنقوشة  
 طولاً بخطوط رفيعة من الذهب

فدخلنا من الباب المحلى دائره بالذهب والمرسوم  
 في وسطه ناج يلعب عند انعكاس اشعة الشمس عليه  
 فيدهش البصر . ووقف عدة حراس المزينة صدورهم  
 بوسامات تضيء كالنواكب احتراماً للشيخ  
 قسرنا في فناء القصر الجميل المصوفه أرضه  
 بالقسيفساء وكانت جدرانها مزينة بالنقوش الذهبية  
 الجميله وكما نمر ونحن سائرون بعض من الضباط المزينة  
 صدورهم بالوسامات واقفين بغاية الاحياء فيؤدون  
 التحية للشيخ

وبعد ان قطعنا القناء صعدنا على سلم جميع درجاته  
 مزخرفة الى الطبة الثانية من القصر وسرنا بمشي على  
 جانبيه الغرف الموشحة ابوابها بالذهب بما يدهش  
 ويحير العقول حتي وقف بنا الشيخ على باب غرفة مرسوم  
 عليه بالذهب نهر يمر بين صفيين من الاشجار بما يدهش  
 الابصار فامر الشيخ نفتح قفحه  
 فدخلنا الى غرفة ومنها الى أخرى مفروشة أرضها  
 بالسجاد الثينة وعلى جانبيها منها مقعدين مفروشين

بالحرير المطرز بالذهب وبصدرها سرير من النحاس  
الاصفر مفروشات من الحرير الابيض التقي وبوسط  
الغرفة منضدة من الخشب الجميل منقوشا نقشا بديعا  
ولنوافذ الغرفة ستائر حريرية مطرزة بخيطان من  
الذهب وتكاد تصل الى الارض ويذما انا تائه بنظري  
في مفروشات تلك الغرفة المدهشة للابصار قبض  
الشيخ على يدي وقال

هذه غرفتك يا ولدي وهذا فراشك واذا أردت  
الاعتسال فادخل من هذه الغرفة الى الحمام  
ثم التفت الى الاغا وكله لعة غريبة لم افهمها  
وتركي مع الاغا وخرج

فجلس الاغا على احد المقعدين وامرني بالجلوس  
فجلست وانا اقول في نفسي

هل أنا في بقعة أم في منام • وأين انا ومن  
هو الذي اشتراني ووضعني في هذه الغرفة التي لاتصلح  
الا للملوك اصحاب التيجان

فقال لي الاغا - هل انت مسرور يا ماني

وادهشني السرور فلم اع الى سؤاله بل اخذت  
 اقدس حالي التي كنت فيها داخل الخان وما وصلت  
 اليه فدمعت عيناى بدموع الفرح وارتبط لساني  
 عن الجواب

فسأني الاغا قائلاً

لماذا تبكي يا فائق حاجته

لست ابكي واكنى اذرف دموع السرور  
 فابتسم وقال - نعم يلزمك ان تكون مسروراً لان الله  
 اراد لك ان تكون . . .

ثم قطع كلامه فجأة وتوقف عن اتمامه وطهر لى  
 من ملامح وجهه انه كان مزمعا ان يروح لى شىء ولكمه  
 خشي العاقبة من اناخته به دومة واحدة

وقال لى بعد هنيهة

لا بد انك في احتياج الى الطعام فهيا سا الى المائدة  
 ثم خرجنا الى الغرفة الخارجية فقرع الاغا جرسا  
 قدخل علينا احد الخدم فامرهم ان يحضر لما الطعام  
 وبعد برهة دخل علينا الطاهي ووراءه خادمين

يحملان طبتين فوضعهما على المائدة بعد ان فرش  
 الطاهي بغطاء من الحرير  
 فجلس الاغا وامرني أن اجلس بجانبه وأخذ  
 الطاهي يقدم لنا الماء كولات اللذيذة حتي اكثفينا  
 فقال لي الاغا قم وادخل غرفتك وخذ لك غفوة وعند  
 العصر ايقظك

وتركني وخرج فدخلت غرفتي وحلست على  
 مقعد ولكترة تراكم الافكار مال رأسي واستغرقت  
 في النوم

فتراء آي لى الهاتف داخلا علي من باب الغرفة  
 يكل وجهه الهيبة والجلال وهو يتسم وتقدم وجلس  
 بجانبى واخذ يدي بين يديه وقال  
 ها قد صرت من حاشية جلالة السلطان محمود  
 وسيطلبك جلالته للمثول بين يديه بعد ساعة لكن  
 شجاعا واجبه عن كلما سألك  
 واذا سألك عن اصلك وموطنك فاذكر له اسمك  
 وانك كرجي الاصل وبعث الي من ربك

ولا بد ان يسالك عن سيدك فقل انه قائد بك  
 احد تجار دمشق وظهر عند وفاته انه كان فقرا فباعك  
 عائلته الى احد النخاسين « تاجر الرقيق » فاني بك الى  
 الاستانة وباعك

واحذر من ان تنطق غير ذلك لئلا تندم ...  
 ثم ترك يدي وخرج من الباب فاستيقظت وفتحت  
 عيني فوجدت نفسي بمفردي في الغرفة والباب مقفل  
 فاخذت اسأل نفسي . من هو هذا الهاتف الذي  
 يتبعني كظلي سوى في اليقظة أو في المنام  
 وهل انا حقيقة من حاشية جلالة السلطان وداخل  
 سرايه .. كلا كلا . لماذا اذن كل هذا الاعتبار  
 ... لماذا كان الشيخ والاغا يكرمانى ... ومن اما  
 حتى ان جلالة السلطان يامر بمؤلى بين يديه  
 واربتكت او كارى واخذت ابكي وانا لا اعرف  
 اذا كنت ابكى سرورا لوجودي في سراى جلالة السلطان  
 أم حزنا لبعدي عن والدي  
 وبينما انا كذلك طرق الباب فالتفت لنفسي

ومسحت دموعي وقت وفتحته فدخل الاغا وهو يتسهم  
وقال

اظنك لا تزال نساءنا

قلت - كلا

قال بعد ان جلس وجلست بجانبه

هل تعلم اين انت

قلت - كلا

قال - انت في سراي سيدك ومولايك جلالة

السلطان محمود وهو يطلب مثولك بين يدي جلالاته

فكن مستعداً لتذهب برفقتي

ثم قرع الاغا الحرس فدخل الخادم فامر به الاغا

أن يأتي بصرة كان قد وضعها باحدى العرف

فلي الخادم الامر واتى بالصرة وحرص فاغلق الاغا

الباب وامرني بأن انزع ما علي من الملابس فزعتها

فألبسي قيصا من الحرير الابيض المطرز بالذهب

وكان على كتفي الايمن وشم بما يسمونه «شهوة»

فنظره الاغا وقال لي مشيراً اليه

ما هذا يا فائق

قلت هذه « شهوة » لان والدتي لما حملتني في  
احشائها نظرت بيد احد الاطفال المارين في الشارع  
تفاحة فاشتتها وحكت كنفها الايمن

فلما وضعتني وجدت شكل تفاحة على كتفي الايمن  
قال - هل اخبرك أحد بما يتأني لصاحب هذه العلامة  
فقلت - وقد ارتعبت - كلا

فلاحظ خوفي فقال

لماذا أراك ترتعش ولما تغيرت من كلامي فاعلم  
ان كل من له هذه العلامة يصير عظيماً بل اعظم رجل بدولة  
آل عثمان بعد جلاله السلطان لانها لا توحد الا على أكتاف  
الملوك

... ألا يسرك ذلك

ثم أخذ يلبسني ثياباً فاخرة، وشاة بالذهب لم تر  
عيني أجمل وأحسن منها ولما أكملت لبس الثياب خرج  
بي الى خارج الغرفة ونزلنا الى فناء مزخرف ومشيا حتى



وقفنا امام باب موشي بالذهب يحرسه أربعة من الضباط  
وملابسهم كلابسي وبايديهم السيوف مرصعة قبضاتها  
بالحجارة الكريمة

فقدموا لنا التحية وتنحوا عن الباب فدخلنا الى  
فناء متسع مفروش بانخر الطنافس وجدران مزينة  
بالنقوش الذهبية

وفي وسطه قبة زرقاء تشابه السماء مرسومة بها  
الكواكب والبدر استطع كانه في ليلة الاربعة عشر عمارة  
عجيبة حتي يظن الداخل الى هذا المكان انها طبيعية  
فانهرت من هذه المناظر المدهشة للناظرين فلحظ  
الإغا ذلك وابتسم كانه يشجني

ثم نظرت عدة من المماليك يكادون يشابهون  
حور الجان بحمال يفتن الالساب لاسين تيجانا من  
الذهب مرصعة بالجواهر والحجارة الكريمة وبايديهم  
السيوف مسالولة واقمين شطرين على باب غرفته  
ومما اصابني من الانذهال طنتهم صورا او  
رسومات صنعوا لتزيين السراى فلما تقدمنا من الباب

حيونا برفع السيوف واحناء الرؤوس

فدخلنا الى عرفة اكثر زخرفة من جميع الغرف  
والمحلات التي مررنا بها فعلى جدرانها آيات قرآنية  
مكتوبة بالذهب ثم تكتنف كل آية اشجار من الذهب  
ايضا

هذا خلاف النقوشات للموشاة جميعها بالذهب  
والمقاعد المحشوة بالرياش والثرىات الذهبية المعلقة بسقف  
الغرفة والمرآة المعلقة بالخائط وما على منضدين من  
الاولاني الذهبية التي تحمل ازهارا صناعيه من الذهب  
مما يسحر العقول

والحق اقول انى طننت نفسى فى حنة المردوس  
وبينا أتيه بنظرى فى تلك المناظر البديعة التى تدهش  
العقول نبهى الاغا وقال

أراك شارد الفكر يافائق

قلت - لقد انبهرت ياسيدي بمرايت

قال - تشدد بافاق وهدىء روعك لانك ستمثل  
لدى جلالة السلطان فكن شجاعا لتحاول عما يليق به

جلالته عليك من الاسئلة

• يجب عند مثوأك لدي جلالته ان تقبل ذيل  
توبه كما أفضل أنا وتتنظرا ثأنته لجواب عنها دون  
أن ترتبك

وما كاد الاغا يتم كلامه حتى دخل علاناً أربعة  
رجال أشداء يطهر من ملابسهم الموشحة بالذهب انهم  
من رجال الحرس وحيونا وأشهرنا سيوفهم ووقفوا  
امام باب بصدر الغرفة التي نحن فيها  
فقام الاغا وقال لي  
ابق كما أنت

ثم تركني وقصد الغرفة التي يحرسها الاربعة من  
رجال الحرس ورفع الستار عن الباب واختفى عن نظري  
فشعرت بخوف لا قرادى وصرت أنظر لذلك  
الباب الذي دخل منه الاغا منتظرا بفروع صبر رجوعه  
وأنا كذلك واذا بصوت عظيم يقول (بادي شاه  
مز شوك يشا) أي (فليحي سلطانتا) ثم رأيت الاربعة  
الحراس ردوا التحية بسيوفهم وصاحوا (بادي شاه مز

شوك يشا) ثم سمعت أصواتاً أخرى من الخارج صاحت  
 ثلاث مرات بشدة (بادى شاه مرشوك يشا)  
 ثم ساد السكوت فخشمت وأصابني الرهبة لما  
 رأيت وما سمعت مما لم أنعود رؤياه وسماعه  
 وبعد برهة خرج الاعمى وهو يتسم وتقدم منى  
 وقال

ما أسمعك لقد نلت الشرف الاعظم فاستعد لتمثل  
 بين يدي مولانا جلالة السلطان فقم واتبعنى  
 وسار الاغا امامي فتبعته وقلبي يحقق حنقا ما شديدا  
 وجسمي يرتجف وتنفض من الرهبة وغشت عيناى  
 غمامة من الخوف فرفعتهما لاري الاغا وكان امامى فلم  
 انظره لما أصابني في ذلك الموقف الرهيب من الرعب  
 والخوف فوقع بصري على بريق يدهش الابصار ويحير  
 الافكار

ثم اخذت الغمامة تنقشع عن عيني رويدا رويدا  
 واذا بذلك الاعمى عرش من الذهب يخطف النظر  
 بلمعانه مرصع بالجواهر الثمينة

وعلى ذلك العرش من خضعت له الشعوب ومالت  
إليه القلوب من حكم العباد بالرحمة وتسلط على أفئدتهم  
بالرأفة من امتلك الرقاب بحسن درايته وتألفت القلوب  
بحكمته مولاي جلالة السلطان محمود حفظه الله وأيد  
سلطته

خوات نظري إلى الأرض وتبعث الأغا إلى الامام  
فرايته جثي وقبل نوب جلالاته ووقف قعقات مثله  
وأخذت ارمق جلالة السلطان بطرف عيني  
فرايته ينظر إلى ويتسم ثم قال لي  
ما اسمك يا فتى  
فاحبته وصوتي يرتجف  
عبد جلالكم فائق  
فاحظ جلالاته خوفي فضحك والتفت إلى الأغا  
وقال له

أرني تلك العلامة التي أخبرني عنها  
فأقرب الأغا مني وحل أزرار ثوبي وقيصى وكشف  
عن كتفي اليمين وقال

ما هي يا مولاي

ونزل جلالته من على العرش وتقدم مني وأخذ

ينظر لتلك العلامة التي على كتفي

ثم وضع يده الشريفة عليها وقال

هي بذاتها

ثم رجع اني العرش وقال للاغا

كفي غط كنفه

فزرر الاغا الثياب فأمره جلالته بان يدعو واصف

باشا . . . فابي الاغا الامر وخرج الى باب الغرفة وامر

أحد الحرس الاربع ان يدعو واصف باشا . . .

وبعد عشرين دقيقة دخل الغرفة شاب لا يتجاوز

الثلاثين عاما بثياب سود فتقدم وسجد وقبل ذيل

ثوب جلالة السلطان

فأمره بالوقوف فوقف بجانب فقال له جلالته

خذ يا واصف فائق ودربه على الاعمال التي ساصدر

أمرى اليك بها وقدم لي تقريراً عن كلما يعرفه

بعد امتحانه

ثم التفت الى الاغا وقال  
 وأنت يا شريف أغا يجب عليك بأن تسهر على  
 قائق وتحفظ عليه واحذر من أن يصاب بضرر  
 ثم أمرنا بالخروج فرجعنا القهقري حتى وصلنا  
 الى الباب فسمعنا صوتا يقول  
 « يادى شاهميز شوك يشا » فرددنا ذلك ثلاثا  
 وخرجنا من الباب

فامسك واصف باشا ييدى وادخلني غرفة كبيرة  
 داخلها عدة غرف ملاءى بالرجال الكنبه جالس كل  
 امام مكتبة فالبعض يقرأ والبعض يكتب فأكدت اني  
 داخل المابن

وكان في صدر الغرفة باب يؤدي الى غرفة  
 اخرى يحرسه عسكريان من الحرس الشهاني فدخلنا  
 منه الى غرفة فحيانا الحارسان التحية العسكرية  
 وكانت هذه الغرفة مزينة بالنقوشات ومفروشة  
 بافخر الرياش وبها مقاعد للجلوس فدخلنا منها الى

غرفة بها اربعة من الكتاب جالس كل على مكتبة  
 خصوصيه ويأورين جالسين على مقعد بجانب الباب  
 واذ دخلنا وقف كل من في الغرفة واحتوارؤوسهم

باحترام

فرددنا بهم ودخلنا غرفة بديعة جدرانها منقوشة بالذهب  
 وفراشها من الرياش الثمين ومفروشة ارضها بالابسطة  
 والطنافس المجيبة شغل الاعجام

وبها مكتبتين من خشب الجوز مزخرفتين  
 وكل ما عليها من ادوات الكتابة وغيرها من الذهب

الخالص

فجلس امام احدي المكتبتين وامرني ان اجلس  
 على كرسي بجانبه ولكني خجأت  
 فلهظ ذلك فابتسم وقال

لا بأس من اعتباري الآن اجلس يا عزيزي  
 ثم امسكني من يدي واجلسني وامر باحضار  
 المرطبات لانه ظنتي خائفا وناواني كاسين وشرب



مطلبهما ثم قال لي بلطف

لقد نلت الشرف اليوم بمثولي لذي جلالة السلطان  
الذي اناط بي تدريبكم على الكتابة بنفسي ولا شك  
سأبال مكافأة عظيمة من جلالته بعد امتحانكم  
فاطرت خجلا وامقد لساني عن شكره فضحك

وقال

تعلم من الآن ان تكون جسورا شجاعا وارفع  
عنك الحياء واعتبرني من الآن كوالدك أو اخيك اذا

شئت

فشكرته على لطفه فقال لي

هل تكتب وتقرأ

قلت - نعم

قال - اكتب ما أمليه عليك

وقدم لي ورقة فأخذت أكتب ما يمليه علي

قال - اكتب

بعد ثم موطني قدمي جلالتم وتضرعي الى من  
كون الكون جل جلاله بحق نبيه الكريم ان يحميكم

بجأيته قد تجاسرت أنا عبد جلالكم المطيع بتقديم عريضتي  
هذه شكراً على ما غمرتني به من نعمكم وجعلتني  
من عبيد جلالكم وما عاملتني من الشفقة والحنان  
واسبقتم على خيرات لا يحصيها بنان فاسم الجلالكم اني  
سأكون عبدكم المطيع ولكل ما تأمروني به سميع وأطاعي  
عن عرش جلالكم واعدد سلطانكم وأقاوم من يقاومكم  
وأكون سداً لمن يعاندكم فثق يا مولاي بالخلاص فاني  
عبدكم الخالص

فلما أتممت كتابة ما أملاه علي اخذ الورقة من

يدي وتلاها وقال لي

الك تكتب جيداً وخطك جميل فأين تعلمت ومن

كان معلمك

قلت - تعلمت بدمشق ومعلمي مسيحي يدعي

الخواحاطفي وكان وكيلاً لسيدي سابقاً

قال - هل تعرف غير اللغة التركية

قلت - نعم

قال - كم لغة تعرف

قلت - أربعا غير التركية

قال - وماهي اللغات الاربع التي تعرفها

قلت - العربية واليونانية والافرنسية والروسية

قال - هل تكلم بهذه اللغات جيداً

قلت - واكتب بها أيضاً

فنظر لي نظرة غير مصدق وقال

أحتما ما تقول تعرف تلك اللغات قراءة وكتابة

قلت - نعم ياسيدي وعليك بامتحان

فقرع جرساً صغيراً فدخل الخادم فامر به بأن

يدعو الباشا ترجمان فخرج الخادم وبعد برهة دخل

رجل يبلغ الحسین عاماً تلوح في وجهه النباهة والذكاء

فخياناً فامر الباشا بالجلوس فجلس

فاحبره بوصايا جلالة السلطان عنى وامره بان

يمتحن بالامات الاربعة

فاخذ الباشا ترجمان يحدثنى باللغة الافرنسية

فاجبته عن كل سؤال بدون ارتباك فكتب بضمة اسطر

على ورقة وامرني بترجمتها الى الافرنسية ففعلت فبعده

ان قرأ مترجمته التفت الى الباشا وقال عنى

انه يعرف اللغة الافرنسية جيداً

قال للباشا - امئنه باللغة الروسية

اجاب - لا اعرف غير الافرنسية

قال - ماذا تفعل اذن بالمخابرات والاوراق الرسمية

التي يبعث بها اليك معتمد دولة روسيا

اجاب - تأتيني جميعها مترجمة باللغة الافرنسية فترجمها

الى التركية

قال - اذهب وأتى باحدى الاوراق الرسمية التي

اتسكم من معتمد روسيا

نخرج الباشا ترجمان ابرهة وعاد ويده ورقة

كبيرة في الصحيفة الاولى منها المخابرة باللغة الروسية

وفي الثانية ترجمتها باللغة الافرنسية

فطلب واصف باشا منى ان ترجم المخابرة بالروسية

الى الافرنسية وناولى ورقة فترجمها

فامر الباشا ترجمان ان يقرأ مترجمته ثم يقابله على

ما بالصحيفة الاخرى من المخابرة

فقال الباشا ترجمان بعد ان قرأها وقالها بالآخرى  
ترجمته للمخبرة مشابة تماما لترجمة السفكوه  
الروسية

فامرني واصف باشا ان اترجمها الى اللغة التركية  
فترجمتها

ثم طلب مني ان اوقع على العريضة التي املاني  
اياها فوقعت عليها ووضعها امامه مع المخبرة  
وفي تلك البرهة دخل علينا شريف اغا وجلس  
بجانبي وقال الى واصف باشا

عسي ان تكون سررت من فائق ياسيدي  
فاجاب - اني لم ار مثله نبيها ذكيا فقد اجاد  
في الامتحان

قال - ومتى تقدم عنه التقرير الى جلالة السلطان  
أجابه - سأكتب التقرير الليلة واقدمه غدا  
وكانت وقتئذ الساعة السابعة مساء وقد اخذ النهار  
في المروب واتجهت الشمس الى الغروب فاخذ الانغا  
يدي واستأذن واصف باشا بالخروج فاذن لنا

فقصدا الجمة التي تقرر فيها اقامتي وجلسنا على  
مقعد فقال الاغا

لقد سر جلاله مولانا الساطان اطال الله حياته  
منك لما مثلت لديه وأمر بمنحك الرتبة الثانية ولقب بك  
ثم امرني يا فائق بك ان اعطي بك وبراحتك وقد  
عين لك هذه « الشقة » لاقامتك وخادمين لخدمتك  
احدهما عبد اسود والاخر مملوك وقد اتقيت لك  
هذين الخدمين الامينين

وكان يكافيني والاخلاص باد غلى وجهه فامسكت  
يده ولتمتها فضحك وسحب يده بلطف وقرع الجرس  
فدخل خدمان احدهما عبد اسود والاخر ابيض  
فأمرهما الاغا ان يتقدما ويأتما يدي قفعلا رغما  
عن تمنعي

والتفت الاغا الى العبد وقال مشيرا الي  
هذا هو سيدك الان يا فرحات فاخدمه بأخلاص  
وكن محبا له غيورا على مصالحه  
وقال الى المملوك

وانت يا حسن عرفت من هو سيدك فاخدمه  
 بنصح وكن حارسا له وكما كنت أحافظ عليك لما كنت  
 صغيرا أطلب منك أن تحافظ على سيدك وتحميه من  
 الطوارق ما استطعت

فانضمالي ان تقوما بعمل ماتكمات به وتضحيا  
 حياتكما في الدفاع عنه وعن صالحه  
 فرفع الخادمان الامينان اعينهما وايديهما وانفسا  
 بأن يفدياني بحياتهما

فامرهما شريف اغا بالخروج وان يذهبا على الطاهي  
 يا حضار الطعام

فخرجنا وبقينا نتحدث حتى دخل الطاهي يتبعه  
 اتباعه يحملون اطباق الطعام

وبعد فراغنا من الاكل خرج شريف اغا ببقيت  
 وحدي فاستحزرت علي الامكار فطارت بي الى دمشق  
 حيث والدي

فتخيلت انها حزينا لفقدي يبيكيان امراقي  
 لهما ثم تصورت اني أسير في قصرى وفاطمه بجاني

تلك التي عاهدتها على الحب ... عاهدتها بأن لا تفرق  
عاهدتها بأن لا أخونها فتركها ونكثت بوعدى  
تصورت انها بجاني تنظر الي نظرة التاب والملام  
لأني تركتها

خيل لي الوم اني اراها حزينة والدموع تسيل  
من عينيها الجميلتين دون ان تقوه بكلمه ورأيت كأن  
والذي قد فاجأنا واراد ان يمنعنا من الاجتماع ببعضنا  
فهمجم على فاطمة واجتذبتها من زراعها فرفعت يدي  
وأردت ان امنعه فلطمنا منضده كانت بالعرفه  
فعدت الى وعي وشعرت بالم اللطمة في يدي وكى  
ابعد عني تلك الاوهام دعوت فرحات اغا وحسين  
وامرتهما بالجلوس فجلسا

فسألتهما من هو شريف اغا وما منزلته لدى جلالة  
السلطان فاجابا « هو دادا » مربى جلالة السلطان  
ومطاع على جميع اسراره وباشاعا الحرم وجلالته  
يميل اليه ميلا غريبا كما وان شريف اغا يحب جلالاته  
ويضحى حياته امامه



قلت - وما وظيفة واصف باشا  
اجاب - هو باشا كاتب جلالتك وكاتم اسرارهم واعظم  
الاعوان لديه

قلت - وما اسم الباشا ترجان  
اجابا - صفه لنا

فاعطينيها اوصافه وملامحه وجهه فزارا سيهما وقال  
هذا صادق باشا ترجان جلالة السلطان ...  
ثم نظرا الى بعضهما وقد ظهر عليهما الارتباك  
فلحظت ذلك - واليهما عن سبب ارتباكهما وما الذي  
اوقفهما عن اتمام حديثهما وطلبت منهما ان يخبراني  
عن كل ما يعرفانه عن صادق باشا فاجاب حسين  
اعلم ياسيدي ان صادق باشا علاوة عن انه ترجان  
جلالة السلطان فهو جاسوس خبيث يشي بالوزراء الى  
جلالته كذبا ويوقع النفور والشقاق بين رجال الحكومة  
بهذه السراي

ولولا حلم ورأفة وعدل جلالة مولانا السلطان  
لاعدم كل من في هذه السراي وجلالته حفظه الله

وايد شو كته يصفني لوشايتيه واكن لا يعمل على اذى  
احد ولا نعلم اذا كان جلالته يحقق ويؤكد اسر ما قاله  
صادق ام لا

قلت - ياللداهية يجب الحذر منه  
اجابا - احذر منه ياسيدي لثلاثي بك كما وشي  
بغيرك - وكنت في اثناء الامتحان بفرقة واصف باشا  
قد رأيت صادق باشا ينظر لي شذرا وقد اصفر وجهه  
لما فزت واجبته عن كل سؤال الفاه علي  
فلما اخبرني الخادمان الامينان بنخسته تأكد لي مما  
ظهر وقت الامتحان ان الرجل حاقد علي  
فسالتهما من هو الشيخ الذي اشتراني  
اجاب - هو خرشد باشا رئيس الحدم الخاص  
وجلالة السلطان محبه حبا عظيما حتى تنازل وصار يناديه  
(بابا خرشد)

وهو رجل صالح تقي من الاولياء وممن يحبون  
الخير ويميلون الى مساعدة الفقراء والبائيسين  
ولما اتممت ما أردت معرفته امرتهما بالانصراف

فتقدم فرحات أغا من خزانة كبيرة بقرب فراشي  
وتفتحها واخرج منها صرة فيها ملابس النوم من الحرير  
الابيض المطرز بالذهب ثم تركاني وخرجا الى الغرفة  
التالية وجلسا على مقعد يتحدثان

فتمجبت من عدم خروجهما الى خارج (شقتي)  
وسأت فرحات عن السبب فأجاب  
لقد أمرنا شريف أغا بعدم مفارقة غرفتك مطلقا  
وان ننام على بابها

قلت - هل حياتي في خطر حتي اضطرر تما الى  
المبيت على باب غرفتي

قالا - كلا ولكننا لا نقدر على مخالفة أمر شريف أغا  
فاقلت الباب ونزعت عي ملابسني ولبست ملابس  
النوم وفتحت الناءذه المطلة على الحديقة، وأخذت أجعل  
نظري في الفضاء الواسع وأتطلع الى الكواكب الساطعة  
بنورها الباهر

ثم الفت بنظري الى الحديقة ومنتع النظر بمنظر  
ورودها البديعه وهب النسيم عليها فمالت دلالات

وأرسلت الى معه روائعها الذكية

وخطر علي بالي وقتئذ رفيق احمد وكيف غلبي  
وأنا بالخان ثم ما كان من الخاناتي

واستصعبت الوحدة والافتراق في تلك الغرفة  
لم أكن معتادا عليه وصعب علي فراق اهلي فهطل دمي  
وفضت بأن اكون بين احضان والدي التي لاشك انها  
تذرف الدموع مدرارا لاجلي

ثم تذكرت ابة خالتي فاطمة وما كان يبتنا من  
الحب وماذا يكون حصل لها بعد فراري ... فلمت  
نفسي لانني اطعت احمد وقررت معه

خطر لي حينذاك ان اعلم شريف اغا بما يجول في  
فكري واطلب منه المعونة والمساعدة ليوصل اخباري  
الى والدي فيحتال علي اخراجي من هذه السراي التي  
وان تكن جميلة وأنا فيها كامير كانت في عيني في ذلك  
الوقت سوداء

فارتحت الى هذا الفكر وعزمت على ان اكشف  
شريف اغا في الصباح باسراري

وكانت عيني قد ذبلتا وشعرت باحتياجي الى النوم  
فقممت الى فراشي واستلقيت عليه

وما كدت اغفو حتى رأيت كأن قد فتح الباب  
ودخل الهاتف ومنظره يدهش الالباب من الهيبة  
وجمال المنظر وتقدم من فراشي وجلس بجاني واخذ  
يدي بين يديه وهو يتسم وقال

انا عالم يا ولدي بما يكدرك فراق والدك وابنة  
حالتك قد صعب عليك ولكن هذا ما كتبته يد القدر  
كتب الاله على الجبين مقدر مامن مفر منه او من مهرب  
فانا عالم يا ولدي بما جال في خاطرك . . . . . انك  
تريد ان تفشى باسرارك الى شريف اغا ولكن احذر  
من ذلك لتلا يكون السبب في هلاك والدك وجميع  
أسرتك

فجميع من بمعية جلالة السلطان يضمرون لك  
للشر والملاك غيرة منك لما لقيته من الاكرام من  
جلالته

فاذا علموا انك لست مملوكا وان ولداك من

ذوي الثروة ومن بلاد الفلاخ والبغدان. لاشك أنهم  
يشوز بك الي جلالة السلطان اذ يدعون ان والدك  
من الانكشارية وارسلك بصفة مملوك لتتقرب من  
جلالته حتى اذا وجدت فرصة مناسبة فتتكت به وقتله  
ويؤكدون لجلالته بان جمعية الانكشارية السرية  
هي الباعث بذلك

فلترم جلالة السلطان ان يأمر بالقبض عليك  
ويبحث سرا اذا كان والدك من الفلاخ والبغدان  
حتى اذا تأكد ذلك يصدق الواشين فيأمر بقتلها وقتل  
اقربائك ثم يذيبك اشد المذابات لتفشي له سر تلك  
الجمعية وتخبره عن اعضاءها

ولما لك لاتعلم يا ولدي عن الجمعية شيئا فتبقى  
تحت العذاب حتى تموت اشنع موتة

فاحذرك من العاقبة فان اطعني وسرت حسب  
أوامري تنال ما لم يحلم به الامراء ووزراء هذه الدولة  
ثم تنال مرغوبك أيضا

قلت — اذن سأرى والذي واتزوج بابنة خالتي

اجاب - ستنال من ابنة خالتك ولدا تربيته فثق  
بقولي وسر كما ارد

فأردت ان اكر رسؤالي عليه اذ اكنت ارى والدي  
ولكنه تركني وخرج من الباب فتبعته لاسك  
بثيابه وارحوه ان يبق معي قليلا ولكني استيقظت اذ  
شعرت بان جهتي التظمت في الباب وفتحت عيني  
فوجدت الباب لا يزال مقفلا بالمفتاح وسمعت فرحات  
من خارج غرفتي يقول  
هل تحتاجني ياسيدي

وخوفا لئلا يعلم ماى سألته نحن في أي وقت من  
الليل

اجاب - نحن قل بزوع الفجر وسيؤذن المؤذن  
بعد نصف ساعه فتحت البات فوجدت فرحات اغاء  
ينتظر او امري فقلت له

اخبرني شريف اغا أمس انه في ( شقتي ) حمام  
فأين هو

اجاب - هل تريد الاستحمام

قلت - نعم

فأيقظ شريف اغا حسين الذي كان نائماً بجوابه  
على باب غرفتي واخبره برغبتي في الاستحمام  
وامسك بيدي وقال

هيا ياسيدي

وادخاني الى غرفة صغيرة جميلة مفروشة بأحسن  
المفروشات وطلب مني ان انزع ماعلي من الملابس وقدم  
لي لوازم الحمام وخرج

فدخل حسين معي الى الحمام وبعد ان اعتسلت  
خرجت الى الغرفة الصغيرة الجميلة فوجدت شريف اغا  
ينتظرني فيها فابتسم لي حين رأني وخرجنا الى غرفة  
وجدنا بها طعام الافطار جاهزا

وبعد أن تناولنا الطعام التفت شريف اغا الى  
حسين الذي كان مرافقا لي كطلي وقال له

كن محافظا على فائق بك يا حسين ورافقه أينما سار  
حتى الى غرفة واصف باشا أيضا



فأجابه حسين - سأعديه بحياتي

فسألت شريف أغا قائلاً

ولماذا كل هذا الحذر هل حياتي في خطر

أجاب وهو يضعك

الك محسود يا فائق بك وقد تولدت الغيرة في

قلوب جميع من في حاشية جلالة السلطان لما نلته من

الأكرام من جلالته

وقد دعاني جلالته اليه أمس وحذرنى من أن تصاب

بضر وأمرني بأن لا أغفل عنك فلذا اتقيت لك هذين

الخدامين الأمينين الشجاعين ليحافظا عليك ويخدماك

قلت - ألا تعرف من الذى يضمرك الى الشر

أجاب - سأعرفه فيما بعد واحذرك من شره

وكانت الساعة ونشأ الرابعة عشرين صباحاً فامسك

بيدى وسار بى الى غرفة واصف باشا

فاستقبلها الباشا بكل اطف فسأله شريف أغا اذا

كان قد أرسل التقرير الى جلالة السلطان

فأجابه - كنت منتظرك هذا الصباح لأسلمك

التقرير ولكن بلغني أنك عند فائق بك فأرسلت التقرير  
مع الماز أغا فذهب به الى جلالة السلطان وعاد الى بعد  
مدة قصيرة واخبرني بان جلالة يطلبني للمشول بين يديه  
فتمثلت لدي جلالاته فسألني وهو يتسم  
كيف رأيت فائق

فأجبت جلالاته - وجدته ذكيا نبها مخلصا  
للدولة ثم اخبرته انه يعرف اللغات الاربعه الفرنسية  
والروسية واليونانية والعربية  
فسر جلالاته وقال

ضعه في غرفتك الخصوصية حتى أصدر أمرى بتعيينه  
في احدي الوعائف التي تليق به

والنفق الى واصف باشا وقال

تعال يا عزيزي فائق بك لتتصافح

فمدت يدي فبرها بلطف وقال

احلس على هذه المكتبة مجايي وراجع الاوراق

التي فيها وسلمني مفاتيح جرارات المكتبة

فجلست على الكرسي وأخرجت موم الاورق

وراجعتها فوحدتها جميعها من جلالة السلطان الى الصدارة  
المظلي

فكُتبت ملخصها على ورقة مذكرة وقد منها لواصف  
باشا فراجعها وقال

انها وافية بالمطلوب ولكني أريد أن تكتب على كل امر  
ملاحظة عما يتراءى لك حسب الشرع الشريف حتى  
نعرض ثانيا على جلالة السلطان لاحذ رأيه اذا كان  
يوجد بها ما يخالف الشريعة... ألم تخبرني امس انك  
درست الشريعة عند الشيخ الحلبي بدمشق

أجبت - نعم ياسيدي

قال - لقد سمعت بابه اكبر علماء الشريعة . وما  
دمت درست العلم عن يده فاكذب ما يتراءى لك  
حسب الشريعة

قلت - ولكني لم اتم دراستي عنده

قال - لا بأس اريد ان اعرف قوة ادراكك  
فاحذت اكتب على كل ورقة ما تراءى لي ولما انتهيت  
سلمته الورقة فوضعها امامه دون ان يطلع عليها

وكانت وقشذ الساعة السادسة اي الظهر فدخل

شريف اغا

ووقفت انا وواصف باشا وخرجنا من الغرفة

وشريف اغا صحبتنا فافترق عنا وواصف باشا في فناء

القصر

وبعد العشاء قصدت غرفتي فتمت حتى ايقظني

للساعة التاسعة عرني امد الظهر قرع على باب عرفتي

ففتحت الباب فدخل شريف اغا ويده صرة

ففتحها واخرج منها ملابس سوداء كالتى يلبسها وواصف

باشا وقال

اليس هذه لتمثل بين يدي جلالة السلطان

فلبثت الثياب وقصدت مع شريف اغا السلامك

للسلطان الذي كنت دخلته بالامس وتركسي فيه ودخل

علي جلالة السلطان وعاد الى تبعد برهة وقال

كن شهما شجاعا فستمثل بين يدي جلالته واياك

ان ترتبك

ثم دخلنا غرفة في صدرها باب عليه ستارة بمن

الحزير الموشح بالذهب فرقع شريف اعالستارة فرأيت  
جلالته جالسا مام منضدة

و كمت ولثمت ذيل ثوبه فامرني بالوقوف وقال لي  
اقترب مني يا فائق بك

فاقتربت من جلالته فناولي العريضة التي املاني

اياها واصف ناشا ووقعت عليها

هل انت الذي كتبت هذه

أجبت - نعم يا مولاي

قال - كم لغة درست

اجبت - اربعا

قال - وما هي

أجبت - الافرنسية واليونانية والعربية والروسية هذا

علاوة عن التركية

قال - لقد اخبرني واصف ناشا بذلك فهل تعرف تلك

اللغات جيدا

اجبت - نعم يا مولاي

قال - أين درستها

أجبت - لقد كنت عند سيدي الذي اشترا في بمنزلة

ولده فكان يحبني كثيرا وعلمني على يد معلمين ماهرين

اللغات الاربع التي دكرتها لجلالتكم

وخطر على بالي وانا اكلم جلالتك والدي فهطل

الدمع من عيني واختنق صوتي فقال جلالتك وقد

لحظ ما بي

يظهر انك تحب سيدي كثيرا حتى أذرفت الدمع

عند تذكرك اياه

أجبت - كيف لا أحبه يا مولاي وكان يحبي اكثر

من أولاده ولولاه لما وصلت الى ما أنا فيه الآن

قال - وكيف يافائق بك

أجبت - لولم يتنبه سيدي الى تعليمي اللغات لما انزاتني

هذه المنزلة وانعمت علي بما لم يحلم به ورراء جلالتك

فبدأ على وجه جلالتك التأثر وقال

أين سيدي الآن

أجبت - كان سيدي أحد تجار دمشق ولكنه

## توفي يا ولای

قال - يجب عليك ان تذكره وتبكيه ولكن  
 احمد الله لان سيدك الآن هو سيد آل عثمان ويعزك  
 اكثر من سيدك المتوفي

وتأكد يا فائق بك انك اذا صرت أمينا ومحببا  
 ومخلصا لي كما كنت لسيدك أرفعك الي أعلا المناصب  
 وأسماها ولا يبقى بيني وبينك غير هذا العرش

فتقدم مي فقد احببتك لانك كنت امينا ومخلصا  
 لسيدك وستكون كذلك الي فقد ألهمت عليك بهذا  
 النيشان الذي أريد أن أرين به صدرك يدي وبرتبة  
 فريق وعينتك منذ الآن كاتم اسراري وكاتب يدي  
 فاقتربت من حالته وأنا كافي في حلم ففتح علبة  
 صغيرة كانت على المضدة وأخرج منها نيشانا مرصعا  
 وعاقه بيده الكريمة على صدرى فاحنيت وقبلت ذيل  
 ثوبه فامرني بالانصراف وهو يتسم

فصرخت ثلاثا « بادي شاهميز شوك ياشا »

ثم خرجت من لدنه وبرفتي شريف اغا وقصدا

غرفة رئيس الديوان وباشكاتب المايين واصف باشا  
فوقف لنا واصف باشا واذا رأى مازن جلالة  
السلطان صدري به ابتسم وقال

اهنيك يا عزيزي بما نلت

ومنذ ذلك اليوم اخذ جلالتة يطلبني للمثول بين  
يديه بغرفته الخصوصية ويطلعني على آرائه السرية  
وكان يظهر لي من مضمون حديثه انه متواضع  
ومحب لرعاياه يعمل على ما فيه راحتها

وكان لباسه بسيطا ويجلس أكثر الاوقات الا في  
الرسميات في غرفة خصوصية بسيطة على كرسي بسيط  
ويكتب بيده أكثر المذكرات التي يرغب حفظها بجارور  
مكتنته

وكان من رأفته عندما يطلع على الاوراق التي  
تعرض عليه لاعداد بعض المجرمين تسيل دموعه  
ويوقع عليها رغما عن ارادته

وكان اذا شقت احد الآليات عصي الطاعة  
واطهرت العصيان وتمردت وبلغه الامر يتكدر ويقول



مسامحهم الله فقد قتلوا نفوسا بريئة  
ثم يصدر أمره بمعاملة المتمردين بالرحمة والرافة  
وإذا لم تأت مجدوي أصدر أمرا آخر إلى أحد الآلايات  
الآخرى لترد المتمردين إلى الطاعة

ومن رآفته النادرة أنه لما عصى على جلالاته علي  
باشا في إقليم أنيروس وما جاوره وتمرد تمردا فظيما  
أرسل جلالاته يدعوهُ للحضور إلى الاستانة عارضاً عليه  
اسمي المناصب صافحاً عن تمرده

ولكن علي باشا رفض وحاهر بالعصيان فبلغ  
ذلك الصدارة العظمى وقررت بإرسال جيشا جرارا  
تحت أمرة وقياده خورشيد باشا وطلبت من جلالة  
السلطان المصادقة على قرارها فتردد فتجاسرت لما إلى  
عنده من المنزلة والمحبة وسألته قائلا

لماذا لاتصادق يا مولاي علي قرار الصدارة  
فأجابني ببساطة ولوائح الكدر ظاهرة عليه  
كيف تريد يا فائق أن أصادق علي هلاك أعظم  
القواد حكمة وأكبر المخلصين لدولتنا

قلت - كيف يا مولاي يكون مخلصا لـجـلائكم  
والدولة وبجاهر بالمعصيان

أجاب - لا بد ان بعض المفسدين الذين يكرهون  
وجود من كان مثله ما هرا مخلصا له ولتنا على قيد الحياة  
رشوه بالمال وأطمعوه اذا جاهر بالمعصيان ان  
يساءلوه ليكون حاكما مطلقا على ولايات الارنووط  
فأطاعهم وهو لا يعلم انهم يضمررون له ولدولتنا  
الشر فكيف تريدني أن أصادق على هلاك رحل عظيم  
مخلص لي

قلت - ومن الذي تجاسر يا مولاي وأفسد هـذا  
الرجل . . . من هو

أجاب - أأست نعلم حتى الآن من هم أعداء  
دولتنا الذين لا يطيقون ان ترتبط عرى المحبة والاتحاد  
بين رعايانا الامناء حتي اذا تمكنوا من وضع الشقاق  
بينهم أعادوا على اراضي دولتنا وامتلكوها بدون منازع  
ومقاوم

قلت - ومن هم يا مولاي أعداء الدولة الذين يريدون

هلاكم

أجاب - موم دول أوروبا يافائق  
قلت - ولكن أكثر دولها يظهرن لنا المحبة  
يامولاي . . .

فضحك جلالته ضحكة اعتصائية وقال مكمل كلامي  
ويضمرون لنا الشر . . . ان أكثر من يزورنا  
من ملوك الأفرنج اعداء لنا

لاتراعي ابتساماتهم فانما هي السم . . . يضحكون  
لنا وانما يضحكون علينا لما يحصل بيننا من التنافر  
ولكن لنا بين تلك الدول صديقة واحدة

قلت - ومن هي يامولاي

قال - مارأيك في دولة روسيا

قلت - كراى رجال الدولة انها عدوتنا

قال - كلا . كلا يافائق فهي الصديقة الوحيدة لنا  
هي الراغبة في مساعدتنا وان تكون عوناً لنا في كل شدة  
ولكن الدول الأخرى واخصها درلتي فرنسا  
وانكلترة يبغضانا وهما السبب في النفور بيننا وبين

روسها خوفاً لئلا نتحد معها فيضيع عليهما نفودهما  
 ويخسران ما يحلمان به من اقتسام بلادنا  
 ' فهل تعلم ماذا يفعلان سرّاً  
 قلت - كلا يا مولاي

قال - تخاير الدولتان فناصرها ومتمدّيتها في  
 هذه البلاد سرا لئلا يذلوا جهدهم في زرع بذور الشقاق  
 والعداوة بين الاهالي ورجال الدولة ويلقوا النمرور بين  
 المسيحيين والمسلمين

قلت - وكيف يلقون النمرور بين المسيحيين  
 والمسلمين

اجاب - يدسون الى المسلمين ان دولة روسيا  
 تعاون المسيحيين ليكون لهم النفوذ المطلق والسيادة  
 على المسلمين

قلت - هل هكذا يفعلون يا مولاي  
 قال - ياليتهم يقتصرون على ذلك بل يحركون  
 أيضاً طائفة الانكشارية على ذبح رعايانا المسيحيين  
 ولما يتكبدون وقوع النمرور والشقاق بين المسيحيين

والمسلمين يلقون فتيلهم فتشتعل نار المذابح وتمد لهيبها  
 وحيث يقيمون ويقعدون ويهولون الامور  
 ويلقون تبة كل ما يحدث علي ويطلبون من دولة  
 روسيا بصفتها حامية للمسيحيين أن تقتص من المسلمين  
 ورؤساء الدين المسيحي يعضدونهم

ونظرا لما انطوت عليه قلوب اهالي روسيا من  
 البساطة تنطلي عليهم خبث نية دولتي فرنسا وانكلتره  
 فيقومون بلسان وقلب وصوت واحد يطلبون من  
 ملكهم وأمبراطورهم انقاذ اخوانهم المسيحيين في بلادنا  
 من الظلم

فتقم حيثند بين دولتنا ودولة الروس الحروب  
 الهائلة حتى يكاد يفيي أحدنا الآخر

وعندما ما يريان أن احدنا سيفوز على الآخر  
 يتداحلان بالصلح بيننا رضينا ام لم نرض ويوفئانا عند  
 حدنا فنهكون قد افئينا الرجال وخسرنا الاموال دون

جدوي

لا ينعكون عن القاء بذور الشقاق وايقاع الحروب

بيننا وبين الروسيه لنبقى دائما في ضعف حتي اذا ارادنا  
احتلال بلادنا واقتسامها لا تجدان من يقاومها

قلت - ولماذا يا مولاي لا توقف القناصل عند خدم  
وتقصر يدهم عن تلك الاعمال وتتحكم مع دولة روسيا  
اذا كان الاتحاد معها يفيد الدولة

اجاب - يستحيل ايقاف القناصل والمعتمدين  
السياسيين نظرا الى الامتيازات التي نالتها دولها من  
أجدادنا سامحهم الله

وأما منع تلك المذابح والشورات لا يتم الا اذا كان  
لنا جيش منظم يقوده رجال امناء خالون من الغايات  
بحيث لا يكون لطائفة الانكشاريه المتمردة فيه دخل  
التي لا تصدع الامر بل تعمل وتسير حسب ما يخطر  
على بالها

فهل تريدني ان اصادق على هلاك رجل امين  
محاص لي غيور على صالح الدولة كمل باشا لمجرد هفوة  
بسيطة مع ان اكثر وزرائي خائون . المخلصون لي  
لا يعدون على الاصابع فكيف أتمكن من الاتحاد مع

## دولة روسيا

والكني اطلب المعونة من المولى كي يمينني على  
عمل ما منه خير لرعيتي حتى لا افارق هذا العالم الا  
ورعيتي متمتعة بتمام الراحة

وسكت جلالته برهة ثم عاد فقال  
لقد اطلعتك يافائق على افكاري وآرائي وذلك  
لاني وثقت بك

وقد عزمت على ان اعهد اليك بأمرهم فهل  
تقوم به

قلت - وما هو يا مولاي  
قال - عزمت على ان اعهد اليك تربية ولدي عبد  
المجيد وتعليمه وتهذيبه

فازرع فيه المحبة لرعية الدولة مسلمين كانوا أو  
مسيحيين والشهامة ليفكر في مستقبل الدولة ازرع  
في قلبه العداوة للدول الأوروبية وافهمه افكاري  
التي اطلعتك عليها

علمه الدهاء السياسي حتى يتلاعب بمقاصل الدول  
ومقاصدنا ويصم اذنيه عن وشاياتها  
أطلعه على اسراري جميعها . قل له ان الدولة لا  
تتظم ولا يرتفع شأنها الا بآبادة الانكشاري أو  
بترحيلها عن بلادنا

قل له ان البلاد في احتياج الى جيش منظم  
كجيوش دول أوروبا يقوده رجال مخلصون للدولة  
شجعان من ذوي السالة يصدون كل غارة عنها  
قل له ان البلاد تحتاج الى عمارة بحرية كبيرة  
ولست كمهارتنا الضعيفة كي نستطيع أن نقف في وجه  
صهارات الدول الاخرى ونهزأ بتهديدها وبعيدها ثم  
تدافع عن عموم الاراضي الاسلامية  
لأنه ارادني وأطلعه على افكارى اذ لربما العمر  
قصير ليصير فيما بعد سلطانا على آل عثمان  
هذه هي ارادتي فاقسم لي بانك تعمل ما أخبرتك به  
قلت - أقسم لك يا مولاي بذلك  
وحينئذ قرع جلالته جرسا فدخل المآزغا فامر به



جلالته بان يأتي بولده عبد المجيد

فابي الامر وخرج وما غاب غير طرفة عين حتى  
رجع يصحبه ولي العهد عبد المجيد فقبل الصبي بدجلالته  
وكان عمره ست سنوات فاخذ جلالته يد ولي  
عهدده وسلمنى اياه يدا بيد وقال

اسلمك ولي عهد السلطنة فكن معلمه ومربيه بل  
ابا وحارسا ونصيرا له عند الشدة

ثم التفت الى ولده وقال له بحنو والدي  
لقد سامتك وعهدت بتربيتك الى اعظم المقربين  
والمخلصين لى لانك ستصير بعد وفاتي سلطانا تحكم اراض  
واسعة ولكن بالعدل لا بالظلم بالرفقة والرحمة لا بالشدة  
والقسوة

انه عوء ثقيل يا ولدى فلكن العناية معك  
ولتحرسك بينهم الساهرة

افهم ما أقوله وما يقوله لك فائق بك وان تكن  
صغيرا يا ولدى وكن سامعا ومطيعا وملييا ما أمرك به  
وقابلا لنصائحهم

وإذا اطال الله في عمركما وتبوأتم الملك وأشار  
 عليك فأثق بك فاسمع مشورته واعمل بها لانه من  
 المخلصين للمملكة وملوكها ومحب لرفع شأنها  
 وإذا وشي به اليك الواشون كي تهلك فلا تصدقهم  
 لانهم بكرهم له يكرهون دولتنا ومنفعتنا  
 فاتخذهم يا ولدي أباً لك من بعدي وسر كما يشير عليك  
 واطمه كما لو كنت تطيعني

ومن الآن فصاعداً عليك بان تخرج من الحرم  
 وتبقى معه حتي غروب الشمس فتعود اليه للمبيت  
 فهل فهمت ما اقول لك يا ولدي فأجاب الصبي وهو

يبتسم  
 نعم يا والدي وسأفعل كما اردتك وارادة معلمي فقال  
 جلالته اجلس يا ولدي بجانب مربيك  
 فجلس ولي العهد فاخرج جلالته من علبة مخبره  
 نيشان الافتخار وزين به صدرى ثم قلدى رتبه الوزاره  
 وقال لي

سر بولدى بحراسة المولى واعمل حسبما اقسمت

فخرجت بولي عهد السلطنة من العرفة وسرت  
 به الى غرفتي المخصوصية بالديوان وأجلسته بجاني  
 واخذت أعلمه القراءة حتي الظهر فدخل علي شريف  
 أغا وهنأني برتبة الوزارة وبنيشان الافتخار وقال  
 لقد وهبك جلالة السلطان سراي المنار بما فيها  
 من المفروشات الفاخرة لتقيم فيها من الآن فصاعدا  
 وخرجنا من الديوان الى غرفتي وتناولنا طعام  
 الغداء وأمر شريف أغا فرحات أغا بأن يعد فراشا  
 آخر بغرفتي لولي العهد

وبام ولي العهد علي فراشه وأما أنا فاشتغيتي الافكار  
 عن النوم اذ خطر علي بالي والدي وفاطمة  
 وكنت لا ازال أعلل نفسي برؤياهم متمسكا بقول  
 المصنف ولكي عولت علي ان احرد لهم لاعلمهم  
 بوجودي بمعية جلالة السلطان ومنزلي لديه وأسألهم  
 عن احوالهم ومدفراي

وما زلت مستسلا للافكار حتي انتهت لقرع  
 علي باب غرفتي ففتحته فدخل علي شريف اغا وجلس

على مقعد وقال وهو ينظر الى

اني اراك مرتبكا

قلت - كلا ولكنني افكر في مستقبل ولى عهدنا

المحبوب

قال - صدقت ولكنني لا اظن انه يخرج عنكافي

السياسة كوالده جلالة سلطانتنا

قلت - كيف ياسيدى

قال - انى اراك لاتميل الى السياسة ولا تحب

الخلوض في عباها كبقية الوزراء ورجال الدولة

فلا شك انك لاتلقن ولى عهدنا المحبوب ماتكرهه

نفسك فيخرج لا يعرف من السياسة غير اسمها

قلت - نعم لم أتدخل بالسياسة مع رجال الدولة

ووزرائها ولكن لا لاني لا أميل اليها أو أكرهها بل

لانهما توقع الشقاق والمداوة بيننا اد أن كل وزير أو

نائب أو مستشار يرمي سياسته الى غرض يقصده به

صالحه لا صالح جلالة السلطان والوطن

فلذا وقفت على الحياد وقفنة المنفرج «أشتري ولا

أبيع ، انظر الى أولئك الوزراء الخائنين الذين ظلموا  
استشاروني في امور تضر بالوطن

ولكن لا تظن انى اذا وقفت على الحياد فى السياسة  
ولم أتناول مع الخائنين الذين لا يقصدون الا منفعتهم  
الشخصية اعمل ذلك مع ولي عهدنا من ستسلم اليه  
رقاب العباد . . . كلا ثم كلا فسوف اخرجه سياسيا  
ماهرا يتلاعب بدفة السياسة كيف شاء

قال - اذا أنت عالم بخيانة الوزراء ورجال الدولة  
قلت - البعض منهم خائنون

قال - لقد أخطأت لالك لم تطلع جلالة السلطان

على اعمالهم

قلت - او يحتاج جلالته الى ذلك - كلا فانه اكثر

نباهة من ان اخبره بما يحصل

قال - اداً هو يعلم بخياناتهم

قلت - لاشك

قال - هل اخبرك بذلك

قلت - كلا فقد قرأت افكاره دون ان يطلعني عليها

قال - لقد قال لي جلالتك مرارا انك عالم بما يدور  
 في خلده من سرور وكدر  
 وقال لي أيضا انه واثق بك ومسرور منك لانك  
 لا تبوح بما في فكرك له او لغيره من الوزراء وتتحاشي  
 عن مقابلتهم  
 وقد شهد لك جلالتك في السياسة خلافا لما كنت  
 أظنه فيك من عدم مقدرتك على التداخل فيها  
 قال لي جلالتك عنك يوما ما بعد حديث دار  
 بيننا

انه طويل الباع في السياسة واميننا ومخلصا للمملكة  
 وقد عرفت ذلك من الشرح الكافي الذي كان يكتبه على  
 الاوراق الرسمية وانا الآن اوقع عليها دون ان اطعم  
 عليها لانه الرجل الوحيد الذي أثق فيه الاخلاص لي  
 وللوطن

وبينا انا وشريف اغا في الكلام تحرك ولي العهد  
 فقال شريف اعا

هلما بنا الى سراي القنار لتفرحنا عليها

فرسكنا عربة خصوصية يجرسها أربعة ياوريه  
وسارت بنا حتي وقفت على باب قصر نخيم مني على  
النسق الحديث يطل على البسفور تحتاط به حديقة  
كبيرة جميلة تتخلل أشجارها الباسقة ورود الحديقة  
المنعشة للأفئدة

فقال شريف أغا مخاطبني  
هذه هي سراي الفنار التي عينت لسكنائك  
فدخلناها وإذا بحيطانها مزينة بأبدع النقوشات  
وغرفها بانغر المقروشات  
فدخلنا غرفة الاستقبال ودخل علينا الخدم فalcوا  
التحية وخرجوا فقال شريف أغا  
لقد وهبك حلاله السلطان غلاما (طواشي)  
يلعب الماشرة من العمر اتريمه فيكون خادما أميناً لك  
قلت — وأين هو  
فأمر شريف أغا أحد الخدم أن يأتي بفيروز اغا  
فلي الامر وأتى بغلام ضحك يلوح في وجهه الدكاه  
فأمره شريف اغا بان يقبل يدي

فتقدم العلام وهو ينظر الي بسيديه الواسعتين وقبل

يدى وخرج

وبعد ان قضينا عشر دقائق فى السراى خرجنا  
وركبنا العربى قاصدين المايين وصحبنا عبد الحميد افندي  
واقترق ما شريف اغا عبد باب العرفة

وبقيت فى المايين أعلم ولى العهد حتى المساء فأتى  
شريف اغا وسار به الى الحرم

وبقيت فى انتظاره حتى رجع فسرنا الى السراى  
وبعد الطعام فارقي

ولما خلا بي المسكان ووجدت نفسي بالعرفة  
بمفردي قمت الى النافذة المطلة على البسفور فوقع نظرى  
على ما يدهش الانصار فالسفن الحربية تضيئها الانوار  
الكهربائية راسية بجانب الطوابى وكان بين الطاوية  
والاخرى العمارات الفخيمة الشائقة تحتاط بها الحدائق  
البديعة

ثم المياه الجارية بسرعة عظيمة تنعكس عليها أشعة  
أنوار البوارج الحربية والحصون فتشابه كواكب السماء



## اللامعة

وبعد ان تمتعت نظري بتلك المناظر المدهشة  
 جلست على مقعد وحررت لوالدي خطابا وارسلته  
 مع احد الخدم الى البوسطة  
 مضي شهر ولم يأتني الرد فعرفت له الثاني والثالث  
 وبعيت ثلاث سنوات واما اكاية دون جدوي  
 فظننت لربما يكون متكدرا مى لانى قررت  
 من دمشق وعملت ضد ارادته برفض الزواج بأبنة  
 احمد اغا

ولكنني عوات على ان في تمام العشر سنوات  
 آخذ تصرىحا من جلالة السلطان وأقصد دمشق فأرى  
 والدي وفاطمة  
 واكن خطر لي فكر وهو كيف يصرح لي  
 جلالاته بالتوجه الى دمشق وقد عهد الي تربية وتهذيب  
 ولده عبد الحميد والى من يعهد بتربيته ادا تركت  
 الاستانة

ولما وجدت ان مسألة ذهابي الى دمشق صعبة

حسرة تركتها الى الظروف في المستقبل

ففي مساء يوم كنت في غرفتي بمفردي فسادرتني  
الافكار فذكرتني بمن لم يحبها عن ذاكرتي ماكر من  
الاعوام وهي فاطمة

تصورت أتي في قصر والدي بين خدعي والمتمين  
الي وبجاني فاطمة ولكنها قاطبة الوجه حزينة فسألها  
مالدي كدرك أيتها الحبيبة

قلت - كدركي نقض عهدك

قلت - لقد قدر لي ان افترق عنك أيتها العزيزة

قلت - ولكك عاهدتني ان لا نفترق

قلت - لقد وعدتك . . .

وتصورت والدي دخل علينا فجأة فقطع حديثنا

وقال ناظرا الي بعين ملوؤها الكدر

ماذا تفعل هنا وماذا تريد ما عدت لا تعرف بك

ولا اعدك ولدا لي

قلت - ولماذا يا والدي لماذا تقسو علي

قال - لقد خالفت ارادتي فما عدت لاقبلك بمنزلي

وأنت يا عاظمة ماذا تفعلين هنا ولمادا تجالسين  
 هذا الشقي . . . . . قومي يا بنيتي وادخلي الحرم  
 فتمنعت ولم يطاوعها قلبها ولكنه امسكها من  
 ذراعها وجذبها لطف وسار بها الى الحرم  
 ثم عاد الي يحمل عصا وهجم علي فقفزت للهروب  
 فلامست يدي آنية جميلة كانت على طرف منضدة  
 فسقطت وانكسرت فمدت الي وعيي واذا بها تصورات  
 فقلت

لن تفارقني هذه التصورات حتى احمل الي قبوري  
 . . . ابن الهاتف . . . ابن من وعدني بلقيا والذي  
 وابنة خالتي

وضاق صدري فشعرت بالنعاس فاستسلمت له  
 وما كدت اعمو حتى رأيت قد فتح الباب ودخل  
 الهاتف مبتسما وقال

ليك يا فائق فلماذا دعوتني  
 ثم جلس بجانبني وقال  
 لماذا اراك حزينا

قلت - لقد اخبرتنى اني سأرى والدي وابنة خالتي  
قال - هل وعدتك بذلك

قلت - ألم تقل لي بانه سيكون لي ابنا من فاطمة  
قال - نعم اقد قلت لك ولكن لا تسأل كيف يكون  
ذلك اراك قلقلنا لانه لم تصلك اخبار من والديك ولكن  
في ذلك سر ستكشفه لك الايام

فاصرف الهم والنم وابدلهما بالهناء ونجرح كأس  
الصفاء لان ما كتبته بد العناية لا بد ان يكون  
والآن فالى الملتقى يا ولدي

قال ذلك مبتسما وهرول جهة الباب واختني  
فاستيقظت مذعورا وأظرت الى ما حولي فاذا  
القنديل لا يزال مضيئا والباب مغلق

ووجدت نفسي ظمأنا لكثرة ما ساورني من  
الهواجس وتراكم الافكار علي فقرعت الباب وطلبت  
من فرحات اغاماء

فأتاني بالماء فشربت حتى اكتفيت ثم استلقيت  
على فراشي ونمت الى الصباح

فاستيقظت مبكرا فأتاني فرحات اغا وقال لي بعد  
الافطار هل تريد ان اجهز لك قارباً للذهاب بواسطة  
الى المايين

قلت - وهل يمكنني الذهاب الى الديوان بقارب  
قال - نعم اذا اردت فعلى الشاطئ قاربان معدان لك  
قلت - هيا ادا يا فرحات

ونزلت فركبت وفرحات اغا قارباً من القوارب  
السلطانية واخذ ستة من الملاحين يقذفون بمهارة وسرعة  
عجيبين فسار القارب يخترق المياه بسرعة غريبة حتى  
وقف على الشاطئ بجانب سور سراي جلالة السلطان  
وتطلعت وأنا صاعد على الدرج الى باب سور  
السراي رايت عدة بنائين يشيدون قلعة عظيمة  
فاندهشت ولم اعلم السبب فلحظ اندهاشي فرحات  
اغا فقال

هذه احدى الطوابى التي امر جلالة السلطان  
بتشييدها حول سرايه

ودخلنا السراي وقصدت غرفة مكثي وبعد

برهة دخل المازاغا ماسكا بيد ولي المهد واخذت  
ألقنه العلوم حتى الظهر

وفي عصاري ذلك اليوم طلب مني ولي المهد ان  
اذهب به الى سراي القنار للفرجة

فأجبت طلبه ونزلنا بالقارب وما كاد يسير قليلا  
حتى لمح ولي المهد الطاية التي يشيدونها

فأثنى عليها فاخبرته انها طاية تشيد بامر والده فقال  
هيا لتفرج عليها

فاصرنا البحرية بالوقوف قريبا من الطاية ثم  
صعدنا الى البر وكان الدامر على البنائين احد الضباط  
المهندسين برتبة فريق

فلما بلعه من القملة قدومنا امر باصطفاف البنائين  
والشغالين

ولما دخلنا حيونا ومشى الضابط امامنا بمن معه  
من الجند للمحافظة الى داخل الطاية

وكان القملة لما مررنا مصطفىين على الجانبين  
وبأرجلهم قيود الحديد فاستغربت وماتت الضابط

عن سبب تكبيلهم فاجاب

انهم من لحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة  
فرثيت - لهم ويما أنا أنظر اليهم وقع نظري على  
رجل بين أولئك المساكين فاصهر وجهي اذ كان ذلك  
الرجل صديقي احمد الذي فررت معه من دمشق  
ولما رأني - كد النظر اليه احمر وجهه خجلا ورمى  
بنظره الى الارض - فنحطت ذلك فتكدرت

فتقدمت الى الضابط وسألته من هو ذاك  
المسجون خوفا لئلا يكون شبيها ل احمد فاجاب  
ارحوك أن تصبر قليلا

ثم دعا اليه السجن وسأله عن الرجل  
أجاب - هذا احمد الشامي

قال - لماذا ومتى سجن وكم حكم عليه

اجاب - لانه اكر الاشقياء وقد سجن منذ عشر  
سنوات وقد دبر لافرار من السجن ولكنه لم يتمكن اذ  
قبض عليه وهو على وشك ان يفر وحكم عليه بالاشغال الشاقة

قلت - ولماذا حكم عليه بالاشغال الشاقة إلا أنه  
أراد الهروب من السجن فقط

فاجاني السجناء

كلا ياميدى دعني أحدثكما بما فعل تماما فنذ  
عشر سنوات كان محكوما عليه بالسجن خمس سنوات  
وما كاد يدخلونه السجن حتى تأمر واتفق مع

المسجونين بالفرار جميعا من السجن

فاعترضه أحد المسجونين قائلا

انا نخاف لكلا يراانا الحرس فيحكم علينا، وبدأ

فاجبهم ذلك الشقي

انا نقتل كل من يعترضنا لانه يستحيل علينا

الفرار دون أن نقاوم من يقف في سبيلنا

وكان احد المسجونين على خلاف معهم فاضمر

لهم الشر ووشى بهم الى ضابط الحرس

فسأل الضابط الواشى قائلا

كيف يفرون من السجن والابواب ممتقوله

اجاب - عزموا على ثقب الجدران



قال الضابط - سأراقبهم فإذا كان ماقته حنا فأنى  
التمس المغو عنك مكافأة لك

وأخذ احمد الشامي والمسيجون في التدبير للفرار  
وعينوا يوما لذلك

فلما كان اليوم المعين لفرارهم ذهب المسيجون  
الذي وشي بهم واخبر الضابط انهم سيفرون في ذلك  
اليوم وقد نقبوا القبو

فاخذ الضابط الاحتياطات اللازمة وعند الساعة  
الثالثة عرابة بعد الغروب احاط السجن بقوة من البوليس  
وقصد هو الجهة التي عزموا على الهروب منها  
وتربص للاشقياء بخمسين غير الدين احتاطوا بالسجن  
وبعد ساعة أو اكثر سمع حبطا قويا بواسطة  
آلة فتطلع رأي الاشقياء يوسعون ثوبا صغيرا

وبعد نصف الليل نظر الرجال رأسا ظهر من  
الثقب ثم قفز رجل الى الخارج فنبهوا الضابط  
فكان الذي خرج هو الشقي احمد الشامي فلما  
صار خارج السجن قالوا الى المسيجون اخرجوا واحدا

واحدنا بالحراس نيام

وما كاد الشقي يتم كلامه حتى هجم عليه الضابط  
والرجال فأخرج الشقي مسدسا كان بجيبه واطقه على  
الضابط فخر صريعا يخطط بدمه ثم اراد الفرز فلم يمكنه  
رجال البوليس وحصل بينهم عراك شديد هائل آل  
الى القبض على الشقي ومن تمكن من رفاقه من الخروج  
من السجن

فاعادوهم الى السجن وعند استنطاق المسجونين  
أقروا بان احمد الشامي هو الذي اغراهم على الفرار  
فسلوا كيف نحصلوا على آلات النقب  
أجابوا - أتاها بها الباش سجان مقابل القبي قرش رشاه  
بها محمد بك جر كس احد المسجونين  
واقرا ايضا محمد بك جر كس انه رشي الباش سجان  
فأتي بأحمد الشامي وسئل اذا كان ما حصل باغرضه فأقر  
الشقي بحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة  
فقيد بقيد ثقيل وأرسله الى سجن القلعة وما مضي  
عليه في السجن يوما حتى استغاث المسجونون من

شره وطلبوا ابعاده عنهم

ففسد امر بوضعه بمفرده في غرفة مخصوصة  
وعين لتعذيبه اثمان من الرجال الاشداء

وكان قصد الحكومة بتعذيبه ن تلين طباعه ولكنه  
كان كلما زداد تعذيبا ازداد توحشا ولا يزال حتى الآن  
يعامل معاملة الحيوانات الكاسرة ومع ذلك فيزداد سمنا

قلت - وماذبه حتى سجن

أجاب - لا اعرف السبب

قلت - اذهب وأت به

فذهب السجنان واتي بأحمد فلما وقف امامي وهو

مكبّل بالحديد ووقعت العين على العين اصفر وجهه

وقلت في نفسي

هو احمد بعينه

ثم التفت اليه وقلت مظهرا عدم معرفتي به

من انت

احاب - اعلم ياسيدي انني احد اولاد الاغوات

بدمشق قزويني والدي وتركالي ميراثا عشرين كيسا من

الذهب « ما أتى جنيته »

وكان لي اخ يدعى فائق فقابلني يوما ما بدمشق  
والكدر يلوح في وجهه فسألته عن سبب كدره  
فاخبرني بما كدرتني انا ايضا وقال لي انه عازم  
على قتل نفسه بيده ولا يرجع عن ذلك الا اذا سافر  
من دمشق الى احدى الولايات  
فقلت له وما الذي يمنعك عن السفر  
اجاب - احتياجي الى النقود  
فاشفقت عليه واخبرته بما ورثته عن والدته  
وعرضت عليه اني اسافر معه اذا اراد السفر واقدم له  
ما يحتاجه من النقود  
فقبل وسافرنا ليلا الى بيروت ومنها الى الاستانة  
وقصدنا خان الشوام ونزلنا به  
وفي اليوم الثاني قصدت السوق لمشتري بعض  
ما يلزم للاكل ومددت يدي الى جبي لادفع بمن  
ما اشتريته فلم اجد بها شيئا اذ كانت الجيب مقطوعة  
ومنشولة منها النقود

فتكدرت وحررت في أمري وماذا أفعل أنا وأخي  
فائق والنقود قد سرقت ونحن غريبان بمدينة عظيمة  
كالاستانة

وخرجت أن أعود الى الخان بدون الطعام فسرت  
بين شوارع المدينة مذهولا فساقتني قدماي الى زقاق  
وكان يسير بالقرب مني رجل لاس ثيابا فاخرة في صدره  
ساعة بسلسلة من الذهب وبخنصره خاتمان بحجرين  
كريمين

وخطر لي أن أسله الساعة بسلسلتها والخاتمين  
فأكون قد اعتضت عما سلب مني  
فهجمت عليه فاستغاث فخرج من باب أحد المنازل  
القرية مناعدة رجال وهجموا ليخلصوا الرجل  
ويتقبضون على

فددت يدي وأخرجت مسدسا وأردت أن  
أرهبهم وأتخلص منهم بالفرار ولكنهم لم يتركوني فقبض  
احدهم على يدي وأخذ المسدس ففرا وأدخلوني الى  
ذلك المنزل وذهب الرجل ليخبر الضابطه

وقيت في المنزل أتلقى الضرب واللكم بصبر حتى  
أتى رجال البوليس وأنقذوني من بين أيدي الخدم  
وساروا بي الى الضابطه

ولما سألوني أقررت بما فعلته ولكي لم أعلمهم عن  
أخي شيئاً لئلا يهتموه بالصوصية أو بالاشتراك معي  
وقد تكدرت لأن اخي اصحح لا يملك درهما يقتات  
به . وبقيت في الضابطه حتي اليوم الثاني فحكم على  
بالسجن خمس سنوات

وما مضي علي فيه شهر حتى خطر علي بالي اخي  
فأذرفت الدموع لفراقه وحزرت لوجوده بمفرده ففعلت  
علي الفرار من السجن

ولما كان ليس بالسهل الفرار منه بمفردي  
صممت علي ان أتفق مع المسجونين علي الفرار  
وكان بين المسجونين رجل غني يدعي محمد بك  
جر كس فأخذت أتودد اليه وأنزلني له حتي مال الي  
فأخبرته بما عزمتم عليه فوافقني وأخذنا نبحث ذلك بين  
المسجونين ونعربهم علي الفرار فوقعونا

فطلبت من محمد بك جركس مبالغاً من النقود  
لترشي به الباش سحان فاعطاني ماطلبت فرشيته فأنا  
بالآلة نقبنا بها جدار السجن ثم خرجت أنا أولاً ولكني  
لم انتبه اثنى رجال البوليس الذين كانوا متربصين لنا  
وامرت المسجونين بالخروج الواحد بعد الآخر

وبينما أنا انظر الى الثقب واكتم المسجونين هجم علي  
محافظ السجن مع رجال البوليس

فأردت الهروب فاخرجت مسدسي وأطلقتته  
كي اذهبهم فاصاب رصاصه المحافظ فسقط على الارض  
وهجم علي رجال البوليس وقبضوا علي وساقوني الى  
السجن وحكم علي . وبدأ فتغيرت اخلاقي واطواري  
الحميدة وصرت اشابه الوحوش الضارية

قلت - ألم تستعلم عن اخيك طول هذه المدة  
قال - مكثت خمس سنوات في سجنى وأنا غير قادر  
ان ابوح بكلمة عنه

وكان لي صديق فى السجن وانتهت مدة سجنه  
فقبل أن يفارق السجن دخل علي بفرقتي ليودعني فرجوته

ان يقصد خان الشوام ويسأل صاحبه عن اخي وماذا  
صار فيه

فوعدني بذلك وخرج ثم عاد الى بعد يومين وقال  
لي انه قابل صاحب الخان وسأله عن اخي فأتى فاجابه  
الخاناني ان اخي تضايق جدا لغيبابي وفراقى له وخرج  
من الخان ولم يرجع اليه  
وقد قال صديقي ايضا

ان صاحب الخان بحث عن اخي كثيرا فلم يقع له  
علي اثر ويظن انه ربما التقي بنفسه في البسفور  
ومنذ داك الحين وانا أندب اخي المسكين واتشاجر  
مع الحرس والمسجونين عساي اقتل احدهم وبحكم على  
بالقتل واتخلص من هذا العذاب والافى اخي في العالم  
الاخير

فتأثرت وقلت  
ألى هذا الحد تحب أخاك  
أجاب - الله اعلم كم احبه  
ثم دمت عيناه وبكى



قلت - لماذا لا تحسن التصرف مع مأمور السجن  
والحرس فلربما طلبوا العفو عنك من جلالة السلطان  
أجاب - ولماذا اعيش واخي مات فاني أريد أن  
التقي به في العالم الثاني  
قلت - ومن قال لك ان اخاك مات فلربما يكون

حيا يرزق

أجاب - كلا فانا أعرف أخي شهما شريفا لا يقبل  
الذل فلا بد انه فضل قتل نفسه عن أن يستعطي  
انا سبب موته فيا الشقائي  
قلت - لا تقنط يا احمد من رحمة ربك فربما كان  
أخوك حيا وكتب لك بان تراه فاحسن سيرك وسلوكك  
مع المنوط بهم أمر حراسك فيطلبون العفو  
عنك

قال - سأفعل ذلك ياسيدي

ثم انحنى امامي وسار الى داخل الطايبه فأمرت  
السجان بأن يعامله بالرفق فوعدني بذلك واخذت بيد  
ولي المهدي ونزلنا في القارب قاصدين سراي الفنار

فسار يحترق المياه جلست على مقعد في مقدمة القارب  
 مشقت الافكار ومتكدرا لما ألم باحمد وما هو فيه من  
 المذاب

فعزمت على خلاصه مما هو فيه ولو آل الامر  
 الى هلاكي

ولما وصل بما القارب الى قرب السراي نزلنا منه  
 ودخلناها وكان شريف اغا في الحديقة فتقدم منا وسرنا  
 وياه فيها الى مكان اعتدنا ان نجلس فيه  
 جلوسا على مقعد واحد وشملنا السكوت

وكنت افكر في مصاب احمد صديقي واكلم  
 نفسي بصوت يكاد لا يسمع قائلا انه يحبني انه يدعوني  
 اخاه .. انا السبب في مصابه

نعم انه عرض علي الفرار ولكني انا المذموم لاني  
 وافقته على ذلك ... مسكين ما اصعب واشد ما يقاسيه  
 لاجلي ... فلا فديته بالروح

ثم هطكت دموعي وبكيت شفقة على صديقي بكاء مرارا  
 وقلت

انى اتلذذ وهو يتعذب  
 انى تسم على فراشي الحريى الناعم وهو يتقلب  
 عذابا على وراش صخرى  
 هل من المروءة ان اتركه . . . كلام كلالست  
 جبانا وسوف اتقدمه  
 وايقضي مما كنت فيه صوت ولى العهد اذ قال  
 ما ذا تقول

قلت - وما ذا قلت يا ولدى  
 اجاب - سمعتك تقول عذابا ويدعوك اخاه وكلاما  
 كثيرا لم اهمه . ولماذا تبكي الست مسرورا من والذي  
 وقال شريف اغا وهو ينظر الى نائدهاش  
 ما الذى كدرك يا عزيزى

قلت - اراي متكدرا  
 قال - نعم  
 قلت - كلا ولماذا اتكدر وانا في نعمة لا يحلم بها  
 أعظم المقربين لجلالة السلطان  
 قال - ادن لماذا تبكي ولماذا هذه الدموع التي

## لا تزال تتنازع من عينيك

ولما وجدت ان لامناص من اخباره وانه  
يستحيل على انكار ما بي من الحزن والكدر شرحت له  
من أنا وكيف هربت مع احمد وكيف قفزت من  
نافذة في الخن وقبولي بيع نفسي ووصاية الهانف لي  
بانكاري اصلي ثم كيف رأيت احمد في الطابية في حالة  
يبكي منها الحجر الجاد

فلما سمع باني لم اكن مملوكا قبل دخولي بخدمة  
جلالة السلطان تعجب وقال

احذر من ان تخبر أحدا بسرّك لئلا تلقى نفسك  
بيدك في الهلاك ثم يقبض على اسرتك ويعدمون  
قلت - وكيف العمل واخي احمد يتأسى اشد العذاب  
قال - اترك ذلك الي فسا بذل الجهد لاستصدار  
لك أمر بالعفو فشكرته بقلبي ولساني

وكان الليل قد اقبل ومد خيامه فأخذ شريف اغا  
بيد ولي العهد وخرج وركب عربة صارت بهما الى  
السراي السلطانية

وما كادا ان يخفيا عن نظري حتى خطر على بالي  
 ان شريف افا سيفشي سري فندمت لتسرعى باخباره  
 وما زلت في هواجسى حتى الساعة اثالثة عريية  
 بعد النروب فاتانى نابي فرحات وقال  
 ألا تريد مناولة الطعام ياسيدى  
 قلت - نعم اذهب وجره  
 وبه د ان تناولت طعام العشاء قت الى فراشي  
 ونمت نوما عميقا حتى ايقظني قرع فرحات اغالى باب  
 غرفتي وقال لي  
 لقد حضر احد أغوات سراي جلالة السلطان  
 ارسله شريف اغا يدعوك للذهاب اليه  
 فشعرت حينذاك بخوف شديد ظانا انه لربما  
 يكون شريف اغا وشي بي  
 وتذكرت نصيحة الهاتف اذ قال  
 احذر ان تخبر أحد بحقيقتك  
 وخرجت من السراي فوجدت الماز اغا ينتظرني فقال  
 اذ رأني شريف اغا ينتظر دولتكم في السراي السلطانية

فركبت انا والمناز اغا العربية التي كان قد أتى بها فسارت  
 بنا الى السراي ، اد و صلب زاننا منها وقصدنا الحديقة  
 فوجدنا شريف اغا جالسا داخل « كشك » جميل في  
 وسطها

وتهدمت وجلست بحانه فنظر لي وقال بلطف  
 وحنو ازالا مابي من لا كدار  
 أراك منغيراً متكدراً فما الخبر . الا زلت تفكر  
 بأخيك . . . لقد وعدك بأنى سأجهد النفس لحلاصه  
 ألا تثق بي

قلت - كير لا اثق ياسيدي و...

فقطع كلامي ضاحكا وقال

اذا لماذا اراك متكدرا اذ كنت تثق بي

قلت - ومن قال لك اني متكدر

قال - ارى ذلك من اصفرار وجهك

قلت - لقد ات طول ليلي أفكر بأخي وبما يقاسيه

من العذاب الاليم

قال - اني اءذرك وقد دقت البحث فوجدت أن

قلت - وكيف تأكدت صدق أقوالي  
قال - سرت بولي المهدامس الى الحرم بالسراي  
السلطانية ثم قصدت غرفتي واخذت افكر فيما كلمتني به  
وانا بين مكذب ومصدق  
ولاً تأكد صدق أقوالك ارسلت فاحضرت  
الضابط الملاحظ للعمل في الطايبه وسألته عما دار بينك  
وبين اخيك احمد  
فاجاب بما اكد لي صدق كلامك ثم ارسلت  
فاحضرت اخاك يصحبه مأمور سجن القلعه  
فامرته المأمور ان يبقي خارج الغرفة وسألت اخاك عن  
اسمه واين ولد ولماذا اتى الاستانة وسجن فيها  
فكان ما قاله لي مطابقاً لما اخبرتني به فامرته  
حينذاك بدخول مأمور السجن وطلبت منه فتح القيد  
من رجليه ومعاملته معاملة حسنة بفرفته الخصوصية  
حتى صدور الاوامر

ففتح المأمور القيد بمفتاح كان في جيبه ثم سار  
بأخي الى السجن

وقد تأثرت جدا لما حصل لأكليك وأنا كذلك  
واذا بأحد الاعوات يطلبني للمثول لدى جلالة السلطان  
فقممت ودخلت على جلالته فوجدته يخاطب  
ولده عبد المجيد ولي عهدنا المحبوب وقد لمعت عيناه سرورا  
وكان عبد المجيد افندي يلقي على مسامع جلالاته  
ما تعلمه فقال جلالاته اذ دخلت عليه

قل لفائق باشا اني ساكفئه مكافأة عظيمة لاهتمامه  
بولدى اهتماما فوق المنتظر

ووجدت انها احسن والسبب فرصة لا طالع  
جلالاته على سر كم وقلت في نفسي لربما يشفق عليك  
ويعفوا عن احبك

وبعد أن مكثت قليلا قلت  
هل تأذن لي يا مولاي بان اطلع جلالتكم على سر  
يتعلق بفائق باشا  
قال - قل يا شريف



فاخبرت جلالته بما اخبرتني به وبملتسمك العفو  
عن اخيك وبطلبك مساعدتي

فلما سمع جلالته قصتك وقصة اخيك احمد تأثروا وقال  
لقد كان ظني في محله يا شريف فلطالما قلت لك  
انه لا يشابه المماليك ... فهو يفوقهم علما وادبا وكالا  
ومما اكدي انه ليس مملوكا شهادة واصف باشا له بمهارته  
في اللغات الاجنبية وذكاءه النادر

واني اذكر انه قد زارني الهاتف قبل مشترائه  
بيلة ووصف لي شكله وطلب مني ان اشتريه لانه  
سيكون الركن الاعظم لدولتنا

واذكر ايضا ان الهاتف قال

والغلام المدعو فائق علامة على كتفه فاكشف عنه فتجدها  
ولقد ظهر الحق الآن وارتفعت عندي منزلته  
فأمره بان يأتي الى لاراه واسأله عن اخيه والحقه  
بالوظيفة التي يفتقها له فائق باشا بعد الافراج عنه  
وامرني بالانصراف فخرجت من لدنه وقصدت  
ان آتي اليك ولكن الوقت كان ليلا فلم اتتمكن

ونحن في الحديث دخل فرحات اغا وقال  
 مامور سجن القامة بالحديقة وبصحبته مسجون  
 فأمر شريف اغا بدخولهما فدخلوا فخرج شريف  
 اغا من جيبه ورقة وسلمها الى المأمور فلما قرأها قال  
 امر جلالة السلطان على العين والرأس  
 ثم ترك المسجون وخرج  
 فالتفت شريف اغا الى احمد وقال مشيرا عني  
 هل تعرف يا احمد هذا الوزير  
 فنظر الى احمد فلم يعرفني لما طرقتني من التغيير فقال  
 كلا لا اعرفه ياسيدي  
 قال شريف اغا - الملك نسيت اخاك فائق  
 قال احمد - ومن ينسى اخاه ياسيدي  
 ثم التفت احمد الي وحلق بي وكان غمامة كانت  
 على عينيه وانه شمت فعرفني فهجم علي وتعانقنا كانتا  
 حقيقة اخوين  
 ثم جلس بجاني وتحدثنا حتى طلع النهار فاخذته  
 بعربة الى منزلي وابدلت ملابسه الرثة بملابس ثمينة

فاخرة وامرت فرحات اغا بان يضع له سريرا بجانب  
سريري ويقدم له مايلزمه

ثم تركته وقصدت المايين فوجدت عبدالمجيد  
افندي ولي العهد بانتظارى فاخذت تارة اعلمه وظورا  
أراجع الاوامر من جلالة السلطان

وبقيت كذلك حتى الظهر فخرجت لا تناول طعام  
الغذاء مع احمد وقضينا بقية ذلك اليوم في الحديث  
وفي المساء بعد الطعام جلسنا بقرب نافورة وكان  
الماء القراح الزلالي يتصاعد من قيوبتها بعسلو ثلاثة  
امتار ثم يتساقط على اطراف النافورة فيشابه البرد  
وكان الطقس لطيفا والنسيم عذبا والسكون شامل  
الطبيعة وبقينا برهة صامتين لا يسمع غير صوت النسيم  
اذ يداعب اوراق الشجر  
فقال احمد

هل علم والدك بوجودك هنا وفي هذا المنصب السامي  
قلت - حررت له مرارا فلم ياتني منه ردا ولا اعلم  
السبب فلربما والذي غضبان لانني فررت من دمشق

قال - هل تريد ان اذهب الى دمشق واقابل اباك  
واعلمه بوجودك في الاستانة وبما نلت من المنزلة السامية  
لدي جلالة السلطان كي يرتاح باله ويسر فؤاده  
قلت - هذا جل مناي ولكن اريدك ان تعاض  
بالراحة هنا عما نلت من العذاب في السجن  
قال - لا تفكر في ذلك فرني كاسافر غدا كي

أريح بالك

وألح علي فقبلت وقل لي ليطاوعني على فراقه لاني  
شعرت بحب اخوي نحوه وامرت فرحات اغا بأن  
يقصد الميناء ويرى أى سفينه تبهر الي بيروت الليلة ثم  
يأتى ويخبرني

فلي الامر وخرج وبعد ساعة رجع وقال انه استبحر  
في اليوم التالي سفينة الى بيروت رأسا  
وبعد اعداد لوازم السفر قصدت في صباح اليوم  
التالى المايين وقابلت الصدر الاعظم وأخذت من  
دخامته كتابا الى والى ولاية سوريا توصية عن والدي  
وعمو امرتني

ثم رجعت الى منزلى فوجدت احمد على تمام  
 الاستعداد فاعطيته ثلاثين كيسا من النقود مصاريفا  
 لسفره واعطيت حمى سرا مثلها الثلاث لا تكفى فهو داحد  
 وأمرت الخادم ان لا يطلع احمد عنها الا عند الاضطراب  
 ثم ودعتهما عند ركوبهما البحر وطلبت لها سفرا سعيدا  
 وفي أثناء غياب احمد عن الاستانة حدثت مذبحة  
 الانكشارية بايعاز وتدير جلاله السلطان

وكانت الحرب بين المسكر الشاهانية والمساكر  
 المصرية بقيادة البطل ابراهيم باشا وبين عصاة المورة  
 وتداخلت دول انكلترا وفرنسا وروسيا بتهجير ولاية  
 اليونان اذ احترقت غدرا الدونمة الشمانية  
 فارتبك جلاله السلطان نظرا لاتحاد دول أوروبا  
 عليه ولعدم وجود رجال مخلصين اليه الا ما يمدون  
 على الاصابع

وبينا انا فى احدى الليالى بمنزلى دخل على الماز اغا وقال  
 يدعوك جلاله السلطان للمثول بين يديه

تمت الكلام فى الجزء الرابع

تتشرف بتقديم مراسم التهاني الى اخواننا المسلمين  
بقدوم عيد الاضحى المبارك والمسيحيين باقبال العام  
الجديد احياءهم الله الى اعياد عديده رافلين في حل  
السعادة والهناء متمنين بعيش رغد يكلمهم الصفاء

طلب منا مشتركونا الكرام اصدار مجلتنا كل  
عشرة أيام بدلا من خمسة عشر يوما فاجابة لطلبهم  
سنبذل الجهد في اصدارها كل عشرة أيام ونعوض  
التأخير الذي حصل بسبب الخلاف بيننا وبين  
صاحب المطبعة

ادارة المجلة تقبل اعلانات حسب الاتفاق مع  
أصحابها

## اعلان

تباع سلسلة الروايات العثمانية بمكتبة التأليف بشارع عدد العزيز  
عمره ٢٦ وياع فيها جميع الروايات الشهرية ويوجد منها مكتبة كافة اصناف  
الكتب العربية من علمية وادبية و تاريخية وجميع الروايات على انواعها  
وكتب مدرسية وكتب تحليلية وفرنسية وهي مستعدة لطبع كافة ما يحتاج  
اليه التجار من عوامات وكمبالات وحوامات وما يحتاج اليه العموم  
من الكروت فيريت وملاحق الافراح وما معمل تحليل الكفاة  
الاوانع من افريحي وشجرين ومذهب والاسعار بعايه المهاودة بالنسبة لثانة  
الشغل واطافته ومن يشرف هذه المكتبة يجد ما يسره وليس الخبز كالعيان

تكرم حصرة الفاضل احمد افندي كامل التاجر الشهير  
في اللوسكي بان يكون وكيلًا عامًا لمجائنا في مصر فله منا الشكر  
حضرة احمد افندي كامل التاجر الشهير بالمواسكي وكيل عام بمصر  
الاستاذ روفائيل افندي سماده وكيل عام بدمشق  
الشام وعموم ولاية سوريا

توفيق افندي اورملي وكيل عام بمديرية المنوفية وبندر طنطا  
المتعهدون

الاسكندرية - احمد افندي عيسوي متعهد الجرائد  
داخل وكالة البرنيس نعمة الله هانم امام  
كنيسة الانكيز شارع البوسطه  
الناهره - مكتبة الأليف شارع عبد العزيز  
دمهور - محمد ومحمود نوار افندي متعهدى الجرائد  
بمكتبهم شارع المحطه

في جميع الجهات - ديمتري افندي رزق لوريا الكتبي  
نما - المكتبة الادبيه

المجله تقبل اعلانات بالاتفاق مع صاحبها العنوان  
حورجي سماده صاحب مجله سلسله الروايات العثمانية بطنطا